

جوانب من الفكر الجغرافي في القرآن الكريم

أ . د . علي صاحب طالب الموسوي

جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

مقدمة البحث

تعد بدايات الفكر الجغرافي قديمة قدم التاريخ البشري حيث كانت محتويات المعرفة الجغرافية محدودة لمحدودية حركة الإنسان ، مما جعل منها ذات طابع مكاني محدود اولا وتميزت بالسهولة وتجنب المناطق ذوات الخصائص الطبيعية القاسية ثانيا ، وقد تكونت الأفكار والمعارف الجغرافية من خلال ما عكسته الظواهر الطبيعية على حياة الإنسان مباشرة سواء في ضمن الأرض التي يعيش فيها أم في السماء التي تتحرك في ضمنها ، بحيث تم الربط في تناول الفكر الجغرافي بين ما يوجد فوق سطح الأرض وما يشاهد في السماء ، وهذا جعل من المعرفة الجغرافية تركيز ومنذ القدم على تلك الظواهر الطبيعية وتأثيراتها على الإنسان — وعلاقته بها والتي وضعت اساس فلسفة الجغرافية وعلمها .

وفي ضوء ذلك فقد اصبح موضوع الفكر الجغرافي من المواضيع الاساسية والمهمة لكل جغرافي لكونه يضع الاساس لماهية علم الجغرافية وحدود ابجائه وعلاقته بالعلوم الأخرى ، فهو يركز على جوانب واسعة جدا من علم الجغرافية الذي يتضمن الاختلافات المكانية variation from place to place والعلاقات المكانية بين هذه الظواهر ، وبالتالي دراسة سطح الأرض وما عليه من ظواهر

والعلاقة بينها من حيث تأثير كل منهما في الآخر، وهذا يجعل من الباحث الجغرافي أن يكون أكثر من غيره الماما في جوانب المعرفة العلمية وفي مقدمتها الجغرافية ، لان بدايات الفكر الجغرافي قديمة منذ خلق الإنسان ووجوده والتي خضعت للتطور الذي وصل اليه الإنسان وتصوره وفهمه عنها وتحديد ابعادها ، والذي توج اخيرا في تفسيرها علميا من خلال الربط بين ما يحدث على سطح الأرض من مظاهر وظواهر ومراقبة السماء لها وما تعكسه على ذلك ، وقد حددت المعرفة الجغرافية وفكرها الجغرافي بمعرفة علم الفلك الذي شكل القاعدة الأولى والمهمة من قواعد الفكر الجغرافي ، أذ ضم الفكر الجغرافي خلال الأزمنة الغابرة ولدى الشعوب البدائية والمتحضرة دعامتين اساسيتين هما نظرة الإنسان الى سطح الأرض ورفع عينيه نحو السماء وما فيها .

تضمن القرآن الكريم سوراً وآيات عن الفكر الجغرافي بجوانبه العلمية وبالتالي فلسفة الجغرافية وعلمها ، ولكي يستطيع الباحث الجغرافي الوصول الى الحقيقة العلمية وجذورها فلا بد من التركيز على مدى تطابق جوانبها النظرية التي تحدث عنها القرآن الكريم مع ما توصل اليه العلم ، وهذا ما يميز الباحث العلمي الجغرافي في قدرته على الربط بين الجوانب الفكرية التي تضمنتها السور والآيات القرآنية والجوانب التطبيقية التي وصل لها علم الجغرافية ، وأن بلوغ ذلك يمثل بدأ المسيرة البحثية العلمية في سلم التطور العلمي الذي لانهاية له ، اذ يؤكد القرآن الكريم ذلك (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) . أن استعمال معايير فلسفية في المنطق العلمي والبحث العلمي واعتمادها الى هذا الحد أو ذلك عبر التحليل العلمي والموضوعي الدقيق من الأمور ذوات الأهمية الخاصة بالنسبة للباحث العلمي ، والتي ستعزز الجوانب العلمية في التفكير والمعرفة للبحث في الفكر الجغرافي ، لذا يهدف بحثنا " الفكر الجغرافي في القرآن الكريم " توضيح ذلك من خلال تناول جوانب محددة من الفكر الجغرافي في القرآن الكريم والتي تدعم الفكر الجغرافي

وأهميته أولا وتثبيت دعائم علم الجغرافية في القرآن الكريم ثانيا ، وهذا ما نسعى للتوصل له عبر أربعة مباحث :

يتضمن المبحث الأول الجوانب الطبيعية (علم الفلك في القرآن الكريم) والذي يركز على دعامتين أساسيتين في الفكر الجغرافي هما الأرض أولا والسماء ثانيا ، ووفق وما تناولته السور والآيات في ذلك ، في حين يركز المبحث الثاني على الظواهر الطبيعية التي وردت في القرآن الكريم والتي أثرت وتأثرت على الإنسان بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، أما المبحث الثالث فسيتناول (الماء في القرآن الكريم) لما له من أهمية في تشكيل صور الحياة على سطح كوكبنا وما رافقه من مظاهر وظواهر جغرافية. وأخيرا فأن المبحث الرابع يركز على جوانب الجغرافية الحيوية التي تضمنتها السور والآيات القرآنية . أعتمد الباحث في تناول هذه الجوانب لما لها من أساس في تحديد قواعد الفكر الجغرافي وفلسفة الجغرافية وفرعها الرئيسي (الجغرافية الطبيعية) مستندين في ذلك المنهج الجغرافي في التحليل والربط بين ما تضمنته السور والآيات وفق ادق وأقدم التفسير ومطابقتها مع ما توصل اليه العلم حديثا ، فضلا عن اعتمادنا على التسلسل المنطقي في تناول دراسة الفكر الجغرافي في حوانبه الطبيعية ، وما يعكسه من تأثيرات على الإنسان وقدراته العلمية ومحدودية تفكيره أمام هذا الكون العظيم الذي تقف امامه عاجزين عن تفسير مظاهره وظواهره ، وامام هذا الاعجاز القرآني الذي اثبت للبشرية ومنهم العلماء بأنه نطق العلم قبل أن يتوصل أو ما سيتوصل له العلم مستقبلا

المبحث الأول علم الفلك في القرآن الكريم

مقدمة :

يتناول كتاب الله الحكيم الفكر الجغرافي في جوانب متعددة منها ما ينشأ في الكون القريب منه أو البعيد الذي تنتمي اجزاء من محتوياته سواء التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، أم من خلال أجهزة المراصد الحديثة ومنذ اربع قرون مضت ، ومن يعرف فلعل البعيد الآن سيكون قريباً وسيظهر ماهو أبعد ، الا ان ما ورد ذكره في القرآن الكريم ومن خلال الايات الينيات فهو أبعد مما يتصوره عقل الانسان وتفكيره وعلمه المحدود ، اذ يخاطب الباري عز وجل الانسان عظمة الخالق بالنسبة لعقل الانسان بقوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم (فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم).^(١)

يوضح الباري سبحانه وتعالى هل أن مواقع النجوم قريبة منا ، أم أنها من البعد بحيث يظهر لنا المبرر من القسم بها ، وان عظم هذا القسم يبدو واضحاً بوجود نجومها لا تحصى حتى على عدسة التلسكوب وهي تبعد عن الارض مليارات من السنين الضوئية ، فالجيرة تقع على بعد ثمانية عشر مليار سنة ضوئية ، وقد تم رصدها بالتلسكوب مؤخراً ، اي أن ضوءها الواصل إلينا قد انطلق منها منذ ثمانية عشر مليار سنة تقريباً.^(٢)

وناقش البيروني في حقل الفلك في كتابه (القانون المسعودي) والذي ألفه عام ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) . والذي يعد أهم مؤلفاته ، حيث تضمن أحد عشرة مقالة غطت معظم جوانب الرصد والنظريات الفلكية في ذلك الوقت ، يبدأ بمناقشة هيئة السماء وشكل الارض ومكانها في الكون وحجمها بالنسبة اليه ، وانواع حركات الاجرام

^(١) سورة الواقعة ، الآية (٧٥، ٧٦) .

^(٢) شاكر عبد الجبار ، ملامح كونية في الفضاء ، ط١، مايس ١٩٨٥ ، ص ٦ .

السمائية ، ثم يوجه البيروني الأدلة على كروية الأرض بظهور أعالي الجبال أولاً للسائر نحوها ، ثم ظهور ما يتعلق منا بالتدريج ، حتى قواعدها ، ويناقش فكرة دوران الأرض حول محورها ، إذ كان الرأي السائد آنذاك يتمحور في عدم وجود هذه الحركة ، وقد شرح البيروني نظريته في تقدير محيط الأرض في آخر كتاب الاصطrolاب .

اذ يقول " إن تصعد جبلا مشرفا على بحر أو ترهب ملساء ترصد غروب الشمس فتجد فيه الانحطاط الموجود ثم تعرف مقدار عمود الجبل وتضرب في الجيب المستوى لتمام الانحطاط الموجود وتقسم المجموع على الجيب المنكوس لذلك الانحطاط نفسه ، ثم تضرب ما خرج من القسمة في ٢٢ ، فيخرج مقدار احاطة الأرض بالمقدار الذي قدرت به عمود الجبل .^(١)

وقد كان الدين الاسلامي حافزا للاهتمام بالجغرافية الفلكية ، فقد أهتم المسلمون بالجغرافية الفلكية لتحديد اتجاه القبلة في البلاد المختلفة ، وتحديد بداية الأشهر القمرية واوقات الصلاة وغير ذلك من الامور الدينية ، مما تطلب ذلك الاهتمام بخطوط الطول ودوائر العرض والحسابات المتعلقة بذلك ، مما دفعهم للاهتمام بصناعة الساعات الرملية والمائية والمزاوول وغير ذلك من الآلات التي حددت الوقت وضبطه ، كما كان السفر البحري من العوامل التي دفعت المسلمين للاهتمام بالفلك ، فالمعروف ان السفر في تلك الايام وخاصة السفر البحري كان يعتمد على معرفة مواقع النجوم ، ويحتوي القرآن الكريم على ملامح كونية تنحني امامها الكشوف العلمية^(٢)

تشير الايات القرآنية الى ملامح كونية تتطابق مع الكشوف العلمية التي اعقبت تنزيله بأكثر من عشرين قرناً ، وهذا الاعتقاد هو كرم رباني مستفيض لعباده لاسيما

^(١) محمود المدرس ، الفكر الجغرافي عند البيروني ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، ع ٣٠ ، ١٩٨٦م ، ص ٦٦-٢ .

^(٢) ابراهيم سلمان الكروي وعبد التواب شرف الدين ، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، ط٢ ، الكويت ، ١٩٨٧ ، ص ٢٧٥ .

الضعاف في كل زمان ومكان ، كذلك فإن آيات القرآن الكريم من العظمة ما يجعلها تتزايد ايمانا وعظمة مع الايام كما وتتكشف جدائدها لكل ذي عينين .^(١)

اولا: السماوات والارض:

أشار الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الحكيم الى خلق السموات والارض من خلال عدد كبير من الايات القرآنية ، وأن الكشف عن ما في السموات والارض من محتويات ونظام يشير بعمق وقوة الى الخلق الهائل والتدبير العظيم والابداع الاخاذ ، لذلك فإن ما سنورده هنا من آيات ما هو الا عدد قليل مما ورد منها لكي يعزز ما نصبوا اليه ، وكما يأتي :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

١- قوله تعالى: "الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى" سورة الرعد. الآية (٢) .

٢- قوله تعالى: "وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون" سورة البقرة . الآية (١١٦) .

٣- قوله تعالى: "بديع السموات والارض واذا قضى امرا فآنما يقول له كن فيكون" سورة البقرة. الايه (١١٧) .

٤- قوله تعالى: "ان في خلق السموات والارض ... ج" سورة البقرة . الايه (١٦٤) .

٥- قوله تعالى: "وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين" سورة ال عمران . الايه (١٣٣) .

٦- قوله تعالى: "الم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير" سورة البقرة . الايه (١٠٧) .

(١) شاكر عبد الجبار ، ملامح كونية في الفضاء ، مصدر سابق ، ص ٣٢ .

٧- قوله تعالى: "وهو الذي خلق السموات والارض بالحق" سورة الانعام. الايه (٧٣).

٨- قوله تعالى: "وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين" سورة الانعام. الايه (٧٥).

٩- قوله تعالى: "قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر" سورة يونس. الايه (٣١).

١٠- قوله تعالى: "ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق إن يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد" سورة ابراهيم. الايه (١٩).

١١- قوله تعالى: "ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال" سورة الرعد. الآية (١٥).

١٢- قوله تعالى: "الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد" سورة ابراهيم. الآية (٢).

١٣- قوله تعالى: "ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد" سورة ابراهيم. الايه (١٤).

١٤- قوله تعالى: "والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شئ موزون" سورة الجحر. الآية (١٩).

يلفت الله سبحانه وتعالى الى مظاهر قدرته في عجائب خلقه وبدائع صنعه في العالم العلوي اي السموات ، فيذكر سبحانه وتعالى في الايه رقم (٢) من سورة الرعد انه هو الذي خلق هذه السماوات والكواكب والشمس والنجوم مرتفعة في الفضاء بغير أعمدة ترونها ، لقدرته الحقة وقوته العظيمة التي امسكت هذه الاجرام ووقوفها في الجو ، وتلك القوة الجاذبية العامة التي تحدد موقف كل سماء وكوكب وكما يتطلبه هذا النظام الدقيق وبحسب ارادة الله تعالى ، كما ان الله جعل كل من

الشمس والقمر مسخرين يجريان ويعملان لمنفعة العباد الى وقت معين عند الله تعالى

ويشير تفسير الآيتين (١١٦، ١١٧) من سورة البقرة . الى أن الله سبحانه وتعالى له ما في السموات والارض كل له قانتون وهذا برهان تام وقوله :بديع السموات والارض واذا قضى امرا فأنما يقول له كن فيكون فيها برهان تام ويستفاد من الآيتين في شمول حكم العبادة لجميع المخلوقات مما في السموات والارض . وعن قوله تعالى:بديع السموات والارض قال أبو جعفر (عليه السلام):ان الله عز وجل آبتدع الاشياء كلها بعلمه فأبتدع السموات والارضيين ولم يكن قبلهن سماوات اوارض ، أما تسمع قوله وكان عرشه على الماء ؟وفي الرواية استفادة وهي أن المراد بالماء في قوله تعالى وكان عرشه على الماء غير المصداق الذي عندنا من الماء بدليل خلقه مستوية على البداعة وكانت السلطة الالهية قبل خلق هذه السموات والارض مستقرة مستوية على الماء فهو غير الماء .

ويوضح تفسير الآيه (١٦٤) عن خلق السموات والارض والتي وردت في سورة البقرة الى ان الله قد خلق في السماء من النجوم ما يفوق حبات الرمل عددا ، وأن أصغر نجم لهو أكبر حجما من الارض بأكثر من مليون مرة ، وان كل مجموعة من النجوم تؤلف مدينة عظمى اسمها (المجرة) والتي تضم أكثر من مئة مليون نجمة ، وان عدد هذه المدن أكثر من مليوني مدينة تبعد الواحدة عن الاخرى مسافة رسالة لاسلكية تصل لها بعد ثلاثين مليون من السنين ، اي أن نسبة هذه المدن بمجموعها الى الفضاء الخالي تماما كنسبة ذبابة تائهة في الكرة الارضية وكل هذه النجوم والمجرات تسير بتوازن وانتظام ، وهذا مثال من ملايين الملايين على قدرة الله وعظمته أكتشفها العلم الحديث .ومازالت الآيه الكريمة تخاطب العلماء المكتشفين وتقول لهم .وما أوتيتم من العلم الا قليلا.^(١)

^١ (محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، المجلد الأول ، بيروت ، ص ٢٦٢ .

كما يشير القرآن الكريم الى الارض بأنها كرة معلقة في الهواء تدور حول نفسها مرة واحدة كل ٢٤ ساعة فيكون تعاقب الليل والنهار وتسبح حول الشمس مرة كل عام فيكون تعاقب الفصول الاربعة ويحيط بالارض غلاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويحفظ هذا الغلاف من الغازات درجة الحرارة المناسبة ويحمل بخار الماء من المحيطات الى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يتكاثف ويسقط المطر، ثم لو كان قطر الأرض أصغر مما هو عليه لعجزت عن الاحتفاظ بالتوازن ولو كان قطرها أكبر مما هو لزادت جاذبيتها للجسام ولو بعدت الارض عن الشمس أكثر من المسافة الحالية لنقصت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس ولو قربت منها أكثر مما هي الآن لزادت الحرارة وفي كلتا الحالتين تتعذر الحياة على الارض.^(١)

وتوضح الآيه (١٠٧) من سورة البقرة التي وردت فيها عبارة (السموات والارض) بأن الله سبحانه وتعالى ملك السموات والارض فله أن يتصرف في ملكه كيفما يشاء وليس لغيره شئ من الملك.^(٢) وتوضح الآيه (١٣٣) من سورة آل عمران بأن الجنة التي أعدت للمتقين عرضها كعرض السموات والارض ويسأل فيقال اذا كانت الجنة في السماء فكيف لها هذا العرض ، والجواب قيل أن الجنة فوق السموات السبع تحت العرش وعن أنس بن مالك قيل معنى قولهم أن الجنة في السماء أنها في ناحية السماء وجهة السماء كما أن السماء تحويها وأن صح الخبر أنها في السماء الرابعة وقيل أن الله يريد في عرضها يوم القيامة فيكون المراد عرضها السموات والارض في يوم القيامة لا في الحال - عن أبي بكر أحمد بن علي - مع تسليم أنها في السماء.^(٣)

^(١) محمد جواد مغنیه، التفسير الكاشف، المجلد الأول، بيروت، شباط ١٩٦٨، ص ٢٥١.

^(٢) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ص ٢٥١.

^(٣) المصدر اعلاه، ص ٥٠٤.

كما يعني ان عرضها (السماوات والارض) تشبيهاً على اتساع طولها ، وقيل : بل عرضها كطولها لانها قبة تحت العرش والشيء المقبب والمستدير عرضه كطوله ، وقد دل على ذلك ماكتب في الصحيح (اذا سألتم الله الجنة فسالوه الفردوس فانه اعلى الجنة واوسط الجنة ، ومنه تفجير انهار الجنة وسقفها عرش الرحمن . وسئل رسول الله (ص) : اذا كانت الجنة عرضها السماوات والارض واعدت للمتقين فاين النار ، فقال (ص) سبحانه الله فاين الليل اذا جاء النهار^(١).

أما الآية (٧٣) من سورة الانعام فأنها توضح بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض بالحق وليس باطلا فالحق صفة قوله وكلامه سبحانه وتعالى .^(٢) (وهو الذي خلق السماوات والارض بالحق) اي محقا ، (و) اذكر يوم يقول للشيء كن فيكون وهو يوم القيامة اذ يقول للخلق قوموا فيقيموا ، (قوله الحق) الصديق الواقع لاحالة (وله الملك يوم ينفخ في الصور) . ويشير تفسير الآية (٧٥) من سورة الأنعام بأن الله تعالى له ملكوت السموات من الشمس والقمر والنجوم والأرض بما فيها من البحار والمياه والرياح ليستدل بها وهذا تأكيد بأنه هو خالق ذلك والمالك له .^(٣)

اما الآية (٣١) من سورة يونس ففيها خطاب الى الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي جاء فيها قل أيها الرسول لهؤلاء المعاندين من أهل مكة . من يرزقكم من السماء بما ينزل عليكم من الأمطار ومن الأرض بما ينبت من شتى النباتات تأكلون منه وتأكل أنعامكم^(٤).

وتؤكد الآية (١٩) من سورة ابراهيم ، والآية (١٥) من سورة الرعد الى ان كل ما في السماوات والارض خاضعاً لارادة الله ومنقادة لعظمته وتدبيره ، ويريد الله

^(١) تفسير ابن كثير .

^(٢) أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، المجلد الثاني ، شركة المعارف الاسلامية ، ص ١٩ .

^(٣) المصدر اعلاه ، ص ٣ .

^(٤) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، ج ١٠ ، مكتبة البابي الحلبي ، مصر ، ص ٩٩ .

تعالى بالاية (١٩) من سورة الحجر بان الارض خلقناها ممدودة مبسوطة كالفرش لتصلح لسكن الانسان والحيوان ، وثبتنا فيها جبال راسيات ثابتات لتمنع الارض من الميلان ، وانبثنا فيها من كل شئ موزون ويعلم مقداره من الحبوب والثمار وما يحتاجه الانسان والحيوان كغذاء ، وان مد الارض وفرشها لايتناقض مع كرويتها ، كون سطح الارض او سطح الكرة الارضية صالح للافتراض والسكن فيه .

فضلا عما تقدم من الآيات التي ذكرت عن السموات والأرض فهناك آيات اخرى يزيد عددها عن "٢٦" آيه تضمنت ذكر السموات والارض أيضا وبمعنى أشمل واعم وكما يأتي :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

١- قوله تعالى: "قال آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم اقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون" سورة البقرة . الاية (٣٣).

٢- قوله تعالى : "قل ان تخفوا في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شئ قدير" سورة آل عمران . الاية (٢٩).

٣- قوله تعالى : "أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون" سورة آل عمران . الاية (٨٣).

٤- قوله تعالى : "ولله ما في السموات وما في الأرض والى الله ترجع الامور" سورة آل عمران . الاية (١٠٩).

٥- قوله تعالى : "ولله ما في السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم" سورة آل عمران . الاية (١٢٩).

٦- قوله تعالى : "ولله ملك السموات والأرض والله على كل شئ قدير" سورة آل عمران . الاية (١٨٩).

٧- قوله تعالى: "الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فحقنا عذاب النار" سورة آل عمران . الآية (١٩١).

٨- قوله تعالى: "ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير" سورة آل عمران . الآية (١٨٠).

٩- قوله تعالى: "ولله ما في السموات والأرض وكان الله بكل شئ محيطا" سورة النساء . الآية (١٢٦).

١٠- قوله تعالى: "ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا" سورة النساء . الآية (١٣١).

١١- قوله تعالى: "ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلًا" سورة النساء . الآية (١٣٢).

١٢- قوله تعالى: "يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما" سورة النساء . الآية (١٧٠).

١٣- قوله تعالى: "له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلًا" سورة النساء . الآية (١٧١).

١٤- قوله تعالى: "ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير" سورة النساء (١٧).

١٥- قوله تعالى: "ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير" سورة المائدة . الآية (١٨).

١٦- قوله تعالى: "الم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير" سورة المائدة . الآية (٤٠).

- ١٧- قوله تعالى: "وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون" سورة الانعام . الاية (٣).
- ١٨- قوله تعالى: "قل أغير الله اتخذوا وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم" سورة الانعام . الاية (١٤).
- ١٩- قوله تعالى: "بديع السموات والأرض" سورة الانعام . الاية (١٠١).
- ٢٠- قوله تعالى: "ولو أن أهل القرى أمنوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون" سورة الاعراف . الاية (٩٦).
- ٢١- قوله تعالى: "إن الله له ملك السموات والأرض" سورة التوبة . الاية (١١٦).
- ٢٢- قوله تعالى: "إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر" سورة يونس . الاية (٣).
- ٢٣- قوله تعالى: "قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون" سورة يونس . الاية (١٨).
- ٢٤- قوله تعالى: "ألا إن لله ما في السموات والأرض" سورة يونس . الاية (٥٥).
- ٢٥- قوله تعالى: "قالوا أتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض" سورة يونس . الاية (٦٨).
- ٢٦- قوله تعالى: "قل انظروا ماذا في السموات والأرض" سورة يونس . الاية (١٠١).
- يتبين لنا من الآيات ال ٢٦ التي تقدم ذكرها بانها جمعت بين السماوات والأرض وتضمنت فكرا جغرافيا عن عظمة نشأة السماوات والأرض ، كما في قوله جل جلاله "فاطر السماوات والأرض" آلايه ١٤ من سورة الأنعام ، و "الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر" سورة يونس ، كما تضمنت قدرة الباري فيما يتعلق عن عدم قدرة الانسان في معرفة ما في السماوات والأرض وبالتالي محدودية تفكيره عما يوجد في الكون ، اذ يقول الله سبحانه وتعالى "يعلم ما في السماوات والأرض والله ما في السماوات والأرض" و "الله ملك السماوات والأرض" و "وان تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض" و "له ما في

السموات وما في الأرض "و" الله ملك السموات والأرض " كما أفرد القرآن الكريم ايضا عن ذكر للسماء والأرض بشكل مستقل بحيث كان لكل منها معناه فيما ورد نصه ويمكن توضيح ماتضمنه من فكر جغرافي وفني ووفقا لما يأتي :

أ- السماء:

ورد في القرآن الكريم دور الايات القرآنية التي تدل على خلق السماء وتكوينها ، فمن المعروف أن الحضارات القديمة قد تناولت دراسة السماء بما فيها من مكونات ، واعقبها علماء العلم الحديث ، الا ان القرآن الكريم هو اول من تحدث عن السماء وما فيها من طبقات وقد ذكرت في الايات الكريمة ما يعزز ذلك وكما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

١- قوله تعالى : "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليم" سورة البقرة . الاية (٢٧).

٢- قوله تعالى : "ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم للارض ما لم يمكن لكم وارسلنا السماء مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهلكنا بذنوبهم وأنشأنا قرناً واخرين" سورة الانعام . الاية (٦).

٣- قوله تعالى : "يسألك اهل الكتاب أن تنزل عليهم كتباً من السماء فقد موسى أكبر من ذلك فقال أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وأتينا موسى سلطاناً مبيناً" سورة النساء . الاية (١٥٣).

٤- قوله تعالى : "واذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان ويربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام" سورة الانفال . الاية (١١).

يشير تفسير الاية (٢٧) من سورة البقرة الى أن الله سبحانه وتعالى خلق ما في السماوات جميعا لمنفعة الخالق لمخلوقاته (ثم استوى الى السماء) فيه وجوه عدة

"أحدها" أن معناه قصده السماء وتسويتها كقول القائل كان الأمير يدبر أمر الشام ثم استوى إلى أهل الحجاز أي تحول تدبيره وفعله إليهم وثانيهما أنه بمعنى استولى على السماء بالقهر كما قال لتستوا على ظهوره أي تقهروه ومنه قوله ولما بلغ أشده واستوى أي فعل هذا، ومعناه ثم استوى إلى السماء في تفرد به بملكها ولم يجعلها كالأرض ملكاً لخلقها (وثالثها) أن معناه ثم استوى أمره وصعد إلى السماء لأن أوامره وقضايه تنزل من السماء إلى الأرض "عن ابن عباس، ورابعها ما روي عن ثعلب أحمد بن يحيى أنه سئل عن معنى الاستواء في صفة عز وجل فقال الاستواء الإقبال على الشيء، فهذا معنى قوله ثم استوى إلى السماء وقوله "فسواهن سبع سماوات" التسوية جعل الشئين أو الأشياء على الاستواء يقال سويت الشئين فاستويا وقيل إن السماوات كانت سماء فوق سماء وبرقها أعشار وأرض أعقال، والمعنى جعلهن سبع سماوات مستويات.

وقال علي بن عيسى إن السماوات غير الأفلاك تتحرك وتدور السماوات لا تتحرك ولا تدور بقوله أن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا وهذا قول ضعيف، لأن قوله أن تزولا معناه لا تزول عن مراكزها التي تدور عليها ولولا أمساكها لزلت عنها، وفي ظاهر قوله تعالى ثم استوى إلى السماء يوجب أنه خلق الأرض قبل السماء والأرض بعد ذلك دحائها بخلافه فكيف يجمع بينهما الجواب معناه أن الله خلق الأرض قبل السماء غير أنه لم يدحها فلما خلق السماء دحها بعد ذلك ودحوها بسطها ومدّها^(١).

تبين الآية (٦) من سورة الأنعام التي وردت فيها كلمة السماء إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أهلك الكفار فأرسل عليهم من السماء مطراً (مدراراً) غزيراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتها الأنهار، تحت مساكنهم، فأهلكناهم بذنوبهم^(٢)

(١) أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ص ٧١ - ٧٢.

(٢) عبد الله شبر، تفسير شبر، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بغداد، ١٩٧٧ م، ص ١٥٠.

ووردت كلمة السماء في الآية (١٥٣) من سورة النساء بأن اهل الكتاب قد سألوا محمد (ص) أن تنزل عليهم كتابا من السماء أذ سألهم اليهود أن يأتيهم بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى او كتابا مكتوبا من السماء وعلى أثر ذلك "قالوا أرنا الله جهرة" عيانا فأخذتهم الصاعقة نار فأهلكتهم بظلمهم^(١)

وتوضح الآي (١١) من سورة الانفال بأن الله سبحانه قد أنزل المطر من السماء ليظهر به المسلمون من قذارة الشيطان وليثبت بالمطر اقدمهم في الحرب بتلبد الرمل أو بثبات القلوب^(٢)

بدا الأرض:

أشار الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الحكيم وفي مواضع متعددة عن نشأة الأرض وتكوينها وحركتها قبل أن يتوصل اليه العلم والعلماء ، أذ ورد في عدد كبير من الآيات القرآنية ما يدحض التفسيرات السابقة التي تناولت من كان يعتقد بثبوت شكل الأرض ونشأتها وتكوينها وما تضمن من وصف لشكل الارض ، اذ المعروف بأن الحضارات القديمة تضمنت وصفا للأرض بأنها ذات شكل مستطيل أو شكل نصف دائرة كما ورد ذلك في الحضارتين القديمتين العراقية والمصرية ، الا أن المتطلع والمتبحر في تفسير الآيات القرآنية يجد بأن ما جاء فيه القرآن الكريم فهو أسبق من ذلك بكثير ، فقد ورد في الايات الكريمة التالية ما يعزز قولنا هذا وكما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

١- قوله تعالى: "ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم
"سورة البقرة (١١٥)

^(١) المصدر اعلاه ، ص ١٢٩ .

^(٢) محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، مصدر سابق ، ص ٢٢ .

٢- قوله تعالى: "ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخرين السماء والارض لأيات لقوم يعقلون" سورة البقرة (١٦٤).

٣- قوله تعالى: "تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب" سورة آل عمران (٢٧).

٤- قوله تعالى: "ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لأيات لاولى الألباب" سورة آل عمران . الاية (١٩٠).

٥- قوله تعالى: "يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوي بهم الارض لا يكتمون الله حديثا" سورة النساء . الاية (٤٢).

٦- قوله تعالى: "انما جزاوا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلوا أو تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم" سورة المائدة . الاية (٣٢).

٧- قوله تعالى: "وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم" سورة الانعام . الاية (١٣).

٨- قوله تعالى: "الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" سورة الانعام . الاية (١).

٩- قوله تعالى: "وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى" سورة الانعام . الاية (٦٠).

١٠- قوله تعالى: "هو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهار ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" سورة الرعد الاية (٣) .

- ١١- قوله تعالى: "واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يضرع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" سورة الاعراف . الاية (١٣٧).
- ١٢- قوله تعالى: "وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه" سورة التوبة . الاية (١١٨).

١٣- قوله تعالى: "ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لأيات لقوم يتقون" سورة يونس . الاية (٦).

تشير الآية الكريمة (١١٥) من سورة البقرة بأن الله سبحانه وتعالى اوضح شكل الأرض اذ يقول ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله المشرق والمغرب وكل جهة من الجهات حيث كانت إشارة من الله بحقيقة الملك التي لا تقبل التبدل والانتقال ، وقوله فأينما تولوا فثم وجه الله ، فكأن الانسان أينما ولي وجهه فهناك اما مشرق أو مغرب ، فقوله ولله المشرق والمغرب بمنزلة قولنا ولله الجهات جميعا والجهات التي يقصدها الانسان أنما تتعين بشروق الشمس وغروبها وسائر الأجرام العلوية المنيرة^(١) .

وتؤكد الآية (١٦٤) من سورة البقرة الى اثبات كروية الأرض ، فكروية الأرض والفراغ الذي يحيط بها ودورانها حول الشمس واحاطتها بالغلاف الجوي ووضعها في مكانها الخاص ، وكون قطرها بهذا المقدار ، كل ذلك يوفر للانسان اسباب الحياة على الأرض ، وفي الآية أيضا شرح مفصل عن أيهما أسبق الليل أم النهار ، وقد اختلف العلماء في ذلك اذ قالوا هل النور أسبق من الظلمة أم الظلمة أسبق من النور في الوجود ، وعلى الاول يكون النهار سابقا على الليل وتكون ليلة اليوم هي الليلة التي تأتي بعد النهار ، وعلى الثاني يكون الليل سابقا على النهار وتكون ليلة اليوم هي التي تأتي قبل النهار ، وذهب الاوائل الى هذا القول فليلة الجمعة عندهم مثلا

^١ (محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، مصدر سابق ، ص ٢٥٨ .

هي التي تدخل قبل فجر الجمعة وهكذا سائر ليالي الايام وما يستدل على ذلك قوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار (يس ٣٧).^(١)

وقوله تعالى : "واختلاف الليل والنهار" وهو النقيصة والزيادة والطول والقصر العارضين لهما من جهة اجتماع عاملين من العوامل الطبيعية وهي الحركة اليومية التي للأرض على مركزها وهي ترسم الليل والنهار بمواجهة نصف الكرة واكثر بقليل دائما مع الشمس، فتكتسب النور وتمتص الحرارة ويسمى النهار واستتار الشمس عن النصف الآخر واقل بقليل فيدخل تحت الظل المخروطي وتبقى مظلمة وتسمى الليل ، ولا يزالان يدوران حول الأرض والعامل الآخر هو ميل سطح الدائرة الاستوائية عن سطح المدار الأرضي في الحركة الانتقالية الى الشمال والجنوب وهو الذي يحدد ميل الشمس عن المعدل الى الشمال أو الجنوب الذي يحدد تكون الفصول الأربعة ، أما القطبان فلهما في كل سنة شمسية تامة يوم وليلة واحدة كل منهما تعادل نصف السنة والليل في القطب الشمالي والنهار في القطب الجنوبي وبالعكس، وأما النقطة الاستوائية فلها في كل سنة شمسية ثلاثمائة وخمسة وستون ليلا ونهارا تقريبا، والنهار والليل فيهما متساويان ، وأما بقية المناطق فيختلف النهار والليل فيهما عددا وفي الطول والقصر بحسب القرب من المنطقة الاستوائية ومن القطبين. وقوله تعالى "والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس" الفلك هو السفينة^(٢).

ان اختلاف الليل والنهار وحدوثها على وتيرة واحدة ويأخذ احدهما من الآخر الزيادة والنقصان يتعلق بدوران الارض والقمر مما يدل على انها افعال محكمة واقعة على نظام وترتيب لا يدخلها تفاوت ولا اختلال ، وما الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فيدل حصول الماء على ماتراه من الرقة واللطافة التي لولاها لما

^(١) محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، مصدر سابق، ص ٢٥٣.

^(٢) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ص ٤٠٠.

أمكن جري السفن عليه وتسخير السفن عليه وتسخير الرياح لاجرائها في خلاف الوجه ، الذي يجري الماء اليه على منعم دبر ذلك لمنافع خلقه^(١)

وتؤثر حركة الارض في تعاقب الليل والنهار ويظهر ذلك في الايه الكريمة (٢٧) من سورة آل عمران . اذ تشير الايه أن الولوج هو دخول شئ في شئ بحيث يستره وسمي بالوجه لاستتارها في النهار بالاولاج وايلاج الليل في النهار ، وبالعكس معلوم لكل من يقع في طي الزمان وتوارد الحدثن وهو ما يشاهد من اختلاف الليل والنهار في السنة ودخول أحدهما في الآخر بحيث يطول طرف ويقصر الطرف الآخر ، وهذا يختلف باختلاف الفصول والبعد عن خط الاستواء ، فيتساوي الليل والنهار على دائرة الاستواء في جميع بقاع الارض ، ويختلفان باختلاف ميل الشمس عنه وسيرها في منطقة البروج فيتفاوتان بالزيادة والنقصان بحسب موقع الأرض والزمان فنشاهد من أول الشتاء الى أول الصيف يأخذ الليل بالزيادة والنهار بالنقصان على حساب منظم ، وهذا ولوج النهار في الليل ، ثم تأخذ الليالي بالتناقص والنهار بالزيادة من أول الصيف الى أول الشتاء ، وهذا ولوج الليل في النهار ، ويختلف ذلك على سبيل التعاكس في المدارات الشمالية و المدارات الجنوبية ، وعموم الآيه الكريمة يتمثل في كل من الليل والنهار ، سواء أكان ذلك على وجه الارض ام في الكرات السماوية الاخرى كما يحدد في علوم الفلك^(٢)

وقد ورد أختلاف الليل والنهار وتعاقبهما أيضا في الآيه الكريمة (١٩٠) من سورة آل عمران ، أذ أشار الله سبحانه وتعالى الى أختلاف الليل والنهار وتعاقبهما ومجئ كل واحد منهما خلف الآخر لأيات ، أي دلالات على توحيد الله وصفاته العلي (لاولى الالباب) اي البصائر والعقول^(٣)

^(١) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، مصدر سابق ، ص ٢٤٦ .

^(٢) عبد الاعلى الموسوي السبزواري ، مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ج ٥ ، مطبعة الديواني ، بغداد ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

^(٣) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، المصدر السابق نفسه ، ص ٥٥٥ .

وردت كلمة الأرض ايضا في الآية الكريمة (٤٢) من سورة النساء اذ قال (لو تسوي بهم الأرض) ، ويقصد بهم الكافرون الذين عصوا الرسول (ص) ، ومعنى الآية لو تجعلون والأرض سواء كما قال تعالى "ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا ، ومن التسوية بأننا قادرين على أن نسوي بنانه أي نجعلها صفيحة واحدة لا يفصل بعضها عن بعض فيكون كالكف فيعجز عليه من الاعمال بالبنان ، اي لو تسوي بهم الأرض .^(١) كما وردت كلمة الأرض مرتين في الآية الكريمة (٣٢) من سورة المائدة اذ اشارت بقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا .^(٢) وقد وردت ظاهرة الليل والنهار الناتجة عن حركة الأرض في الآية الكريمة (١) من سورة الانعام اذ اشار الله سبحانه وتعالى فيها الى خلق السماوات والأرض أي أوجدهما بمقدار تقتضيه الحكمة وجعل الظلمات والنور جمعت دونه لكثرة اسبابها اذ ان لكل جرم ظل .^(٣)

ويشير الله سبحانه وتعالى الى الليل والنهار في الآية الكريمة (١٣) من سورة الانعام اذ قال : (له ما سكن في الليل والنهار) ، اي له كل متمكن ساكن في الليل والنهار خلقا وملكا وانما ذكر الليل والنهار وذكر السماوات والأرض فيها من قبل ، اذ جعل الله سبحانه الليل للاستراحة والسكون والنهار للحركة والمعيشة .^(٤) ووردت كلمة الليل الناتجة عن كروية الأرض في الآية الكريمة (٦٠) من سورة الانعام حيث أكد ما فيها من منافع ، ويتوفى الأنفس بالليل فيقبض ارواحهم عند النوم ويعلم ما كسبتهم بالنهار ثم يبعثكم فيه أي يوفقكم في النهار .^(٥) اما الآية الكريمة بقوله تعالى (هو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهار ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم

^(١) (ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، مصدر سابق ، ص ٥ .

^(٢) (عبد الله شبر ، تفسير شبر ، مصدر سابق ، ص ١٣٨ .

^(٣) (المصدر اعلاه ، ص ١٥٠ .

^(٤) (ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، المصدر السابق نفسه ، ص ٧٨ .

^(٥) (عبد الله شبر ، المصدر السابق نفسه ، ص ١٥٦ .

يتفكرون) فهي توضح بان الله تعالى هو الذي خلق الارض مبسوطة كالفراش ثبتها بجبال شامخات لاتنتقل ولا تضطرب حتى لا تحيد ولا تتحرك ، واجرى في الارض انهارا لمنافع الانسان والحيوان والنبات ، وجعل من الاشجار المثمرة نوعين (الذكر والانثى) لتتم عملية التلقيح ، وبذلك يتم الانتاج والاثمار ، وخلق الليل بحيث ياتي ويستر ضوء النهار ، وان في ذلك الخلق البديع والصنع العجيب آيات لقوم يتفكرون ويتاملون في قدرة صانع هذا الكون المبدع الذي يديره ويرعاه ، فيعلمون ان الخالق لذلك هو القاهر فوق العباد .

ووردت مشارق الارض ومغاربها في الآية الكريمة (١٣٧) من سورة الاعراف ، حيث يقصد بهما بعض جهات الأرض الشرق والغرب ^(١) ، كما وردت كلمة الأرض في الآية الكريمة (١١٨) من سورة التوبة والتي اشار الله سبحانه وتعالى فيها الى الذين تاب عنهم اذ قال : (وتاب على الثلاثة الذين خلّفوا) عن التوبة عليهم بقرينة (حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) اي مع رحبها . ^(٢)

ويبين الله سبحانه وتعالى مرة أخرى الى الليل والنهار في الآية الكريمة (٦) من سورة يونس اذ قال فيها " ان في اختلاف الليل والنهار " اي في حدوثهما وتعاقيهما وبمجيئ كل منهما خلقه للأخر وفي طولهما وقصرهما على وفق اختلاف موقع الأرض من الشمس ومالهما من نظام دقيق على وفق حركة الشمس اليومية والسنوية ، وفي طبيعة كل منهما وما يصلح فيه من نوم وسكون وعمل دنيوي وديني ، وما خلق الله السموات والأرض من احوال الجماد والنبات والحيوان ويدخل في ذلك احوال الرعد والبرق والسحاب والامطار وأحوال البحار من مد وجزر

^١ (أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، المصدر السابق نفسه ، ص ٤٧٠ .

^٢ (جلال الدين محمد بن احمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تفسير

الجلالين ، ص ٢٦٢ .

وأحوال المعادن العجيبة في تركيبها وأوضاعها المختلفة ، كل هذه آيات لقوم يتقون اي لدلائل عظيمة على وجود الصانع ووحدانيته وحكمته في الابداع والابتقان .^(١) فضلا عما تقدم اعلاه والذي فأن القرآن الكريم هو أول من أثبت كروية الأرض ووصف شكلها والذي ورد في مواقع كثيرة من الآيات يمكن ذكر عدد منها وكما يأتي :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

١- قوله تعالى : "واذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون "سورة البقرة . الاية (١١) .

٢- قوله تعالى : "الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون "سورة البقرة . الاية (٢٧) .

٣- قوله تعالى : "قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين "آل عمران . الاية (١٣٨) .

٤- قوله تعالى : "يا أيها الذين امنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لآخوانهم اذا ضربوا في الأرض أو كانوا غرى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير "سورة آل عمران . الاية (١٥٦) .

٥- قوله تعالى : "ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرة وسعة "سورة النساء . الاية (١٠٠) .

٦- قوله تعالى : "وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ببلونانهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون "سورة الاعراف . الاية (١٦٨)

^(١) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، مصدر سابق ، ص ٦٩ .

٧- قوله تعالى: "واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فاولتكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون" سورة الانفال . الاية (٢٦).

٨- قوله تعالى: "ومالهم في الأرض من ولي ولانصير" سورة التوبة . الاية (٧٤).

٩- قوله تعالى: "فلما أنجاهم اذ هم ييغون في الأرض بغير حق" سورة يونس . الاية س(٢٣).

١٠- قوله تعالى: "والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم" سورة يونس . الاية (٦٣).

١١- قوله تعالى: "ما كان النبي ان يكون له اسرى حتى ييثن في الأرض" سورة يونس . الاية(٦٧)

١٢- قوله تعالى: "ثم جعلناكم خلائق في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعلمون" سورة يونس . الاية (١٤).

١٣- قوله تعالى: "وان فرعون لعال في الأرض وانه لمن المسرفين" سورة يونس . الاية(٨٣).

١٤- قوله تعالى: "ولو أن لكل نفس ظالت ما في الأرض لافتدت به" سورة يونس . الاية (٥٤).

١٥- قوله تعالى: "قال موسى لقومه استعينوا بالله واصروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده" سورة الاعراف . الاية (١٢٨).

١٦- قوله تعالى: "واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة" سورة النساء . الاية (١٠١).

١٧- قوله تعالى: "واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لاتعلمون" سورة البقرة. الاية (٣٠).

١٨- قوله تعالى: "فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين" سورة البقرة . الآية (٣٦).

يظهر لنا من تفسير للآيات القرآنية اعلاه بانها مستمدة بشكل مباشر او غير مباشر من القرآن، فان من ينظر الى السماء قبل وبعد نزول القرآن الكريم يشاهد بعينه آلاف من النجوم ، فالعين المجردة مهما بلغ مدى أبصارها لا تستطيع أن تميز ما في صفحة (السماء) أكثر مما هو معروف بين ستة آلاف وتسعة الاف جرم فقط وفقا للظروف القائمة ، وعلماء الفلك في القرون المحيطة بعصر النبوة ، فكانوا يقولون ان الارض ملكة هذا الكون ومركزه تحيط بها الشمس والقمر والكواكب والنجوم ، فذلك كان العلم الكوني الذي تطرق اليه العلماء الى ما قبل أربعة قرون .

ورغم هذا الفقر في المعلومات العلمية عن عدد الاجرام السماوية وأوصافها التي أتيج لنا معرفة اشياء هائلة عنها بالقياس مع ما كان ابائنا الاولين فان القارئ للآية الكريمة عند نزولها "ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا" ^(١) ، يجد ان هذه الآية تؤدي غرضها المطلوب لدى السامع في العصور الاولى، فيمتلكه الشعور بمدى نعمة المولى عز وجل في الامساك بمقاليذ السماوات والارض ، وقد بقيت الآية تؤدي دورها الوظيفي بهذا المقدار فقد اكتشف عبر التلسكوبات ان الارض احد تسعة كواكب تدور بسرعات مختلفة حول نفسها وحول الشمس .

وان هذه الكواكب التسعة ومعها اجرام اخرى تبلغ نحو من مئة مليار تشكل مجرة اسمها (درب التبانة) ، والمجرة هي قرص مفرطح وقطر القرص نحو من مئة الف سنة ضوئية ، والسنة الضوئية مسافة مقدارها (٦ مليار) ميل ، فقطر هذا القرص نحو من ستمائة الف مليون والارض والشمس والكواكب الثمانية الاخرى تقع من هذا القرص على بعد ثلاثين الف سنة ضوئية من مركزه وعلى بعد عشرين الف سنة

(١) سورة فاطر. الآية (٤١) .

ضوئية من اقرب طرف له ، وهي تقع على ارتفاع القرص قرب وسطه ويؤكد كتاب الله الخالد "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح"^(١)

فأذا كانت السماء الدنيا اي المترائية للانسان بالعين المجردة او بالواسطة كالتلسكوب مثلا تزخر بهذا العدد الهائل جدا ، وان المعروف حتى الان من المجرات بما تحتويه بالمجهول منها الذي يقع خارج احتمال التصور الانساني ، فمالقصد بتعبير القرآن "السموات"؟ وما لا شك فيه بأن هناك فرقا بين قوله تعالى "السماء وبين قوله السموات" ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا "لم يقل سبحانه "السماء" كما قال في الآية "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح" وكما كانت تسمى بين الناس وقت نزول القرآن بل أنها لاتزال الى الآن تسمى سماء حتى بين المتخصصين من العلماء ، اذن لماذا يعتمد القرآن الكريم تسميتها في موضع السماء وفي آخر السموات.

يذهب أكثر المفسرين الى أن المصابيح هنا هي النجوم كما يذهب سبحانه وتعالى عندما قال "السموات" فانه أعطى الابعاد التي يحتاجها الكلام واقعا كما هي عليه في مكنون علم الله ولاحقا على قدر ما تسفر عنه كشوف العلوم الانسانية ، والفرق هنا كبير بين ان يقال "السماء" فينصرف النظر الى الرقعة التي تشاهدها العين المجردة وبما تحتويه وبين ان يقال "السموات" وفيها وما فيها مما لا يحصىه الا الخلاق القدير ، رغم أن انصراف الذهن قبل ما أستجد من كشوف علمية الى الرقعة السماوية التي كانت منظورة وحدها وهذا بحد ذاته أمر يبعث في نفس الانسان العجب على قدرة ربنا على تدبير نشأت السماء والأرض ، وكذلك فإنه على الرغم من كثرة مافي السماء من مجرات وشموس وكواكب ونجوم بحيث تشبه الارض ذرة واحد بين مليارات المليارات من الذرات ، فعلى هذا الاساس لماذا ينوه القرآن الكريم بالأرض كثيرا ، ويقترن ذكرها في مواضع عدة بذكر السماوات فمثلا "السموات والأرض" في حين هناك في السماوات من الاجرام ما هو أضخم جدا من الأرض والجواب هو :

(١) سورة الملك الاية (٥) .

اولا: لا يخفى ما نجده في ذلك من تكريم للأرض ولعله متأت من تكريم ربنا للإنسان الذي عاش فوق ظهرها فهو سبحانه وتعالى يقول "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" (١)

ثانيا: عند قراءة قوله تعالى "بسم الله الرحمن الرحيم" :-

"انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب" (٢) - "وزينا السماء الدنيا بمصابيح" (٣) - "خلق السماوات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار" (٤) - "وعلامات وبالنجم هم يهتدون" (٥) - "أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا اله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون" (٦) نجد ان الايات أعلاه توضح بأن الله تعالى كان يخاطب الناس اللذين لم يدركوا في العصور الأولى من نزول القرآن الكريم باستثناء الرسول (ص) ما ندركه نحن اليوم من عجائب ، فهم اذ كانوا يرون الارض مستقرا صالحا لهذه الحياة على وجه الاكمال ولا يملكون الادعاء لذا فأن عظمة صنع الله بدت اكثر وضوحا مما كانت ترى منذ أن أكتشفنا ذلك قبل حوالي أربعة قرون .

أن الارض تتحرك وانها ليست مركز الكون كما كان يدور بين أوساط المهتمين بأمور الفلك ، حيث التوصل ألى انها تدور حول نفسها وتسير حول الشمس وتجري مع الشمس وكواكبها ولها حركة رابعة ضمن دوران المجرة حول نفسها ، وحركة

^١ (سورة الاسراء الآية (٧) .

^٢ (سورة الصافات الآية (٦) .

^٣ (سورة فصلت الآية (١٢) .

^٤ (سورة الزمر الآية (٥) .

^٥ (سورة النمل الآية (١٦) .

^٦ (سورة النمل الآية (٦١) .

خامسة مع انطلاق موكب المجرة في الفضاء ، فضلا عن حركتها هذه فقد اكتشفوا أن سرعة حركتها حول نفسها هي ربع ميل في الثانية وسرعة حركتها حول الشمس تقع بين ٥-١٨ ميلا في الثانية ، وأن سرعتها ضمن جريها مع الشمس وكواكبها هي اثنا عشر ميلا في الثانية ، وأن سرعتها ضمن دوران المجرة حول نفسها هي مئة وعشرون ميلا في الثانية ، وأن المجرة بكل محتوياتها وهي تنطلق في الفضاء تتباعد عن المجرات الأخرى بسرعة بين ٦٠-٤٠٠٠٠ ميل في الثانية ، وهنا نشعر بالدهشة !.. لأن الأرض رغم تلك الحركات الخمسة وبسرعة مختلفة وعالية فهي مستقرة ومطمئنة يمكن أن توجد فيها الحياة وتنمو وتتكاثر مستقرة بكل ما عليها من انتقال دون أن تتأثر سلبا بتلك الحركات وانما تتأثر ايجابيا بها ليتدعم فيها الاستقرار وتكون الحياة مزدهرة^(١)

ووفق ذلك فإن القرآن الكريم ضم أسرار الخليفة بأجمعها ، ففضلا عما ماذكر من الآيات القرآنية وماذكر سابقا عن أنيات حركة الأرض وشكلها ، فإن من أعظم الأسرار التي كشف عنها القرآن هي حركة الأرض فقد قال عز من قال : "الذي جعل لكم الأرض مهدا"^(٢)

توضح الآية الى حركة الأرض وبإشارة دقيقة لم تتضح الا بعد قرون بانها تستعير لفظ المهد الذي يعمل للرضيع والذي يهتز بنعومة لينام فيه مسترخيا هادئا ، فكذلك الأرض مهد للبشر وملائمة لهم من جهة حركتها الوضعية والانتقالية كما يتحرك المهد لغاية تربية الطفل واستراحته والذي ينطبق على الأرض ، فإن حركتها اليومية والسنوية لغاية تربية الانسان وجميع ما عليها من الكائنات الحية ، ومن الأسرار التي كشف عنها القرآن منذ أربعة عشر قرنا وجود قارة أخرى ، فقال سبحانه وتعالى "رب المشرقين ورب المغربين"^(٣)

^(١) شاكر عبد الجبار ، ملامح كونية في الفضاء ، مصدر سابق ، ص ٤٢-٥١ .

^(٢) سورة الرعد الآية (٣) .

^(٣) سورة الرحمن الآية (١٦) .

شغلت هذه الآية الكريمة اذهان المفسرين قرونا عديدة وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى فقال بعضهم: "المراد مشرق الشمس ومشرق القمر ومغربيهما ، وجملة بعضهم على مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما ، ولكن الظاهر أن المراد بها الإشارة الى وجود قارة أخرى تكون على السطح الآخر للأرض يلزم شروق الشمس عليها وغروبها عنها وذلك بديل قوله تعالى حتى اذا جاءنا قال : "ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين" (١)

ويظهر من هذه الآية أن البعد بين المشرقين هو أطول مسافة محسوسة فلا يمكن حملها على مشرقى الشمس والقمر وعلى مشرقى الصيف والشتاء ، لأن المسافة بين ذلك أطول مسافة محسوسة فلا بد من أن يراد بها المسافة التي ما بين المشرق والمغرب ، ومعنى ذلك ان يكون المغرب مشرقا لجزء آخر من الكرة الارضية ليصح هذا التعبير ، فالآية تدل على وجود هذا الجزء الذي لم يكتشف الا بعد مئات من السنين من نزول القرآن فالآيات التي ذكرت المشرق والمغرب بلفظ المفرد يراد منها النوع كقوله تعالى "ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم" (٢) أما الآيات التي ذكرت ذلك بلفظ التثنية فيراد بها الإشارة الى القارة الموجودة على السطح الآخر من الأرض والآيات التي ذكرت ذلك بلفظ الجمع يراد منها المشارق و المغرب باعتبار اجزاء الارضية ، ومن الاسرار التي اشار الله اليها في القرآن الكريم هي كروية الأرض فقال تعالى "واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها" (٣) وكذلك قوله تعالى : رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشرق" (٤) وقوله تعالى : "فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون" (٥)

(١) سورة الزخرف الآية (٣٧) .

(٢) سورة البقرة الآية (١١٥) .

(٣) سورة الاعراف الآية (١٣٧) .

(٤) سورة الصافات الآية (٥) .

(٥) سورة المعارج الآية (٤٠) .

تدلل هذه الآيات والأيات التي سبق تفسيرها على كروية الأرض ، اذ في هذه الآيات الكريمة دلالة على تعدد مطالع الشمس ومغاربها وفيها إشارة الى كروية الأرض فإن طلوع الشمس على أي جزء من اجزاء الكرة الارضية يلازم غروبها في جزء آخر ، فيكون تعدد المشارق والمغارب واضحا في تفسير المشارق والمغارب على مطالع الشمس ومغاربها باختلاف أيام السنة ، لأن الشمس لم تكن لها مطالع معينة ليقع الخلاف ، بل تختلف تلك باختلاف الأراضي ، فلا بد من أن يراد بها المشارق والمغارب التي تتجدد شيئا فشيئا ، اعتماداً على كروية الأرض وحركتها^(١) ، وعلى هذا الاساس فقد طرح القرآن الكريم التساؤل التالي : "أم من جعل الارض قراراً"^(٢) ، أن صدور هذا التساؤل من عليم حكيم يجعلنا نجزم بأنه يتضمن اوضح اشارة لنا نحن أهل القرون الاخيرة عن تحصيل استقرار الحياة فوق الأرض رغم حركاتها الخمس في ان واحد ، وهنا يكمن الاعجاز القرآني ، وهو أنهم تلقوا التساؤل فبعث في نفوسهم الخشوع أمام اقتدار الخالق سبحانه.

ونستنتج بالتالي أن الآية بتساؤلها والآيات التي سبقتها قد قررت أن الأرض جرم متحرك ، وان هي أشارت الى هذا المعنى من طرف بعيد بشكل بليغ طوال العصور السابقة ، والمهم هو أننا قد تحمسنا هذا في هذا العصر بوضوح لا لبس فيه إطلاقاً"^(٣).

وأن اثبات كروية الارض التي جاءت بها الايات الكريمة في القرآن الكريم وجدت في اخبار الائمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام أجمعين وأدعيتهم وخطبهم ما يدل على ذلك أيضا ، ومن ذلك ما روي عن الامام الصادق (عليه السلام) قال "صحبني رجل كان يمسي بالمغرب ويغلس

^(١) الشيخ سلمان الظالمى النجفي ، القرآن فضائله واثاره في النشاطين ، دار الزهراء للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٠١-١٠٣ .

^(٢) سورة النمل الآية (٦١) .

^(٣) شاكر عبد الجبار ، القرآن يفك لغز الأرض ، بغداد ، نيسان ١٩٨٥ ، ص ١٦-١٧ .

بالفجر وكنت انا اصلي المغرب اذا غربت الشمس ، واصلي الفجر اذا استبان الفجر ، فقال لي الرجل : ما يمنعك ان تصنع مثل ما اصنع ، فان الشمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنا وهي طالعة على قوم اخرين بعد ، فقلت : انما علينا ان نصلي اذا وجبت الشمس عنا واذا طلع الفجر عندنا وعلى اولئك ان يصلوا اذا غربت الشمس عنهم ويستدل الرجل على مراده باختلاف المشرق والمغرب الناشئ عن استدارة الارض ، ويقره الامام على ذلك ولكن ينبهه على وظيفته الدينية وهي الصلاة التي ترتبط بغياب الشمس وطلوعها ، وهنا يكمن الفكر الجغرافي في القرآن الكريم ، ومثله قول الامام علي (عليه السلام) في خبر آخر انما عليك مشرقك ومغربك ومن ذلك ما ورد عن الامام زين العابدين (ع) في دعائه بعد الصباح والمساء "وجعل لكل واحدة منهما حدا محدودا ، واحدا ممدودا ، يولج كل منهما في صاحبه ، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد" أراد صلوات الله عليه بهذا البيان البديع التعريف بما لم تدركه العقول في تلك العصور وهي كروية الارض .

وحيث ان هذا المعنى كان بعيدا عن فهم الناس لأنصرف العقول عن ادراك ذلك ، لتطفـ وهو الامام العالم بأساليب البيان بالاشارة الى ذلك على وجه البليغ - فإنه عليه السلام لو كان بصدد بيان ما يشهده عامة من الناس من أن الليل ينقص تارة فتضاف من ساعاته الى النهار وينقص النهار تارة اخرى فتضاف من ساعاته الى الليل لاقتصر على الجملة الأولى : يولج كل واحد منهما في صاحبه ، ولما احتاج الى ذكر الجملة الثانية "ويولج صاحبه فيه" أذن نذكر الجملة الثانية انما هي دلالة على ان ايلاج كل من الليل والنهار في صاحبه يكون في حالة ايلاج صاحبه فيه لأن ظاهر الكلام ان الجملة الثانية حاله ، ففي هذا دلالة على كروية الأرض ، وان ايلاج الليل في النهار مثلا عندنا يلازم النهار في الليل عند قوم اخرين .^(١) وكم هو معجز حقا قول القران الكريم في قوله تعالى : الم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا" ، وهذا

(١) أبو القاسم الموسوي الخوئي ، البيان في تفسير القرآن ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد ، ١٩٨٩ ،

يعني ان الله قد جعل الأرض فراشا للانسان كالمهد ، وتشكل الجبال بأنواعها أوتادا والتي لها دورها في توازن قشرة الأرض ، وهذا ما توصل اليه العلم أخيرا ، اي تبين سمك قشرة الارض ، أذ يقدر سمكها تحت القشرة حوالي "٥" كم في حين يصل سمكها تحت القمم الجبلية حوالي "٣٥" كم ، وتتخذ شكل اوتاد تعمل في المحافظة على توازن سطح الارض فوق المواد المنصهرة في باطنها ، وقد توصل العلم الى ذلك حوالي عام ١٩٥٦ م ، مقارنة مع ما ورد في القرآن الكريم .

وأخيرا فأن القرآن الكريم هو الذي أثبت كروية الارض وحركتها ووصف شكلها وما يرافق ذلك من تعاقب الليل والنهار على وفق حركتها والذي يتفق تماما مع ما توصل اليه العلم الحديث وبوقت متأخر .

ثانيا : الشمس والقمر :

أشار الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه وفي مواضع متعددة عن أهمية الشمس والقمر قبل أن يتوصل اليه العلماء ، أذ ورد وفي عدد لا يحصى من الآيات ما يدحض الافكار القديمة التي كانت سائدة عند الحضارات القديمة عن الشمس والقمر والتي كن الاعتقاد فيها بأن الشمس هي مركز العالم وأن الشمس والنجوم تبقى في مواقعها ثابتة من غير حركة وان الأرض تدور حول الشمس في فلك دائري تقع الشمس في مركزه فضلا عن ما ورد لديهم من اعتقادات اوصلتهم الى عبادتها واتخذوا منها الهة لهم . الا أن الله عزوجل نور وازال ذلك تماما في آياته البينات في القرآن الكريم الذي هو اساس كل علم بأن الشمس تجري وليست ثابتة ، وقد أوضح ذلك الله عز وجل في العديد من الآيات القرآنية الكريمة وسأركز على السور والآيات الكريمة التي تعزز ما نصبو له ووفق ما ياتي :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

١- قوله تعالى : "فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما قال لنن لم يهديني ربي لآكونن من القوم الضالين "سورة الانعام . الاية (٧٧) .

٢- قوله تعالى: "فلما رأى الشمس بازغا قال هذا ربي أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون" سورة الانعام . الاية (٧٨).

٣- قوله تعالى: "خالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم" سورة الانعام . الاية (٩٦).

٤- قوله تعالى: "هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب" سورة يونس . الاية (٥).

٥- قوله تعالى: "وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار" سورة ابراهيم . الاية (٢٢) .

٦- قوله تعالى: "حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين" سورة الكهف . الاية (٨٧) ، "حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا" سورة الكهف . الاية (٩٠) .

٧- قوله تعالى: "رب السموات والارض وما بينهما إن كنتم موقنين" سورة الدخان . الاية (٧) .

توضح لنا الاية الكريمة (٧٧) من سورة الانعام (فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي) الى آخر الآية ، والبزوغ هنا هو الطلوع فعندما رآه قال هذا ربي فلما آفل قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من الظالين ، فهو موضوع الكناية فهو عليه السلام أبطل ربوبية الكوكب بما يعم كل غارب ، ولما غرب القمر ظهر عندئذ رأيه في أمر ربوبيته . بما كان قد قاله قبل ذلك في الكوكب : لا أحب الأفلين ^(١) .

وتشير الآية الكريمة (٧٨) من سورة الانعام ، وهي تكملة للآية السابقة ، اذ قال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي فلما غربت قال لا أحب الأفلين لأنه عليه السلام ما كان يعرف من الشمس ما يعرفه أحدنا أنه جرم سماوي يطلع ويغرب

^(١) محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، المجلد السابع ، ص ١٧٨ .

بحسب ظاهر الحس في كل يوم وليلة واليه تستند النهار والليل والفصول الاربعة السنوية الى غير ذلك من نعوتها ^(١).

اما الآية الكريمة (٩٦) من سورة الانعام: الى "خالق الاصباح وجعل الليل سكنا الى آخر الآية ، فهي تؤكد بان الاصباح هو الصبح والسكن ما يسكن اليه والحسبان جمع حساب ، و قوله "وجعل الليل سكنا" عطف على قوله "خالق الاصباح" وفي خلق الصبح وجعل الليل سكنا تسكن فيه المتحركات عن حركتها لتجديد القوى ، وجعل الشمس والقمر بما يظهر من الليل والنهار والشهور والسنين من حركاتهما في ظاهر الحس حسابا تقدير عجيب للحركات في هذه النشأة المتغيرة المتحولة ينتظم بذلك نظام المعاش الانساني ويستقيم أمر حياته ولذلك ذيلها بقوله "ذلك تقدير العزيز العليم" فهو العزيز الذي لا يقهره قاهر ^(٢).

ويستدل من تفسير الآية (٥) من سورة يونس: "هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا" اي أن ريكم الذي خلق السماوات والأرض هو الذي جعل الشمس مضيئة نهاراً والقمر منيراً ليلاً (وقدره منازل) اي وقدر سير القمر في فلكه منازل ينزل في كل ليلة في واحد منها لا يجاوزها ولا يقصردونها ، وهي ثمانية وعشرون ، يرى القمر فيها بالأبصار وليلة أو ليلتان يحتجب فيهما فلا يرى " لتعلموا عدد السنين والحساب " اي لتعلموا لما ذكر من صفة النبين وتقدير المنازل حسب الاوقات من الاشهر والأيام لضبط عباداتكم ومعاملاتكم المالية و المدنية ، ولولا هذا النظام لتعذر ذلك على الأميين من أهل البدو والحضر، اذ ان حساب السنين والشهور الشمسية لا يتم فهمها الا من خلال الايات لمعرفة اوقات الصوم ، الحج ، عدة الطلاق بالحساب القمري الذي يمكن معرفته بالمشاهدة ، فيعبد المسلمون ربهم في جميع الأوقات في المناطق الحارة ، الباردة والمعتدلة ^(٣).

^(١) المصدر اعلاه ، ص ١٧٩ .

^(٢) محمد حسين الطباطبائي ، المصدر السابق نفسه ، ص ٢٨٧ .

^(٣) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، مصدر سابق ، ص ٦٧ - ٦٨ .

ولأثبت أن الشمس تجري أو تتحرك فقد اختلف الناس قديما في وضع الشمس، فمنهم من قال أنها ثابتة ومنهم من قال أنها تدور حول نفسها، ومنهم من فضل الصمت على التكهن فنزل قوله تعالى: "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم".^(١)

ويقرر اخرون بأن الشمس ليس فقط بأنها لا تتحرك، وإنما تجري وبين الحركة والجري فرق معنوي ملحوظ. فمتى توصل العلم للكونيات الى ان الشمس تجري فعلا، اذ لم يتوصل العلم الى أن الشمس تجري في الفضاء الا في العصر الحديث، اذ تم معرفة تحرك الشمس حول نفسها بنحو اثني عشر ميلا في الثانية وكذلك معرفة تحرك آخر لها مع كواكبها نحو نقطة بين الجاثي واللورا بسرعة اثني عشر ميلا في الثانية، وكذلك معرفة تحرك ثالث لها بسرعة سبعين ميلا في الثانية، في ضمن دوران المجرة حول نفسها وحركة رابعة ضمن انطلاق المجرة في الفضاء بسرعة ٦٠٠-٤٠٠٠ ميل في الثانية.

فالشمس تدور حول نفسها من الغرب الى الشرق كما تدور بقية الكواكب السيارة، ولو أن الشمس كالارض لها جسم صلب متماسك لدارت كلها قطعة واحدة جامدة متماسكة كالارض فكان لها ثابت الطول أربع وعشرون ساعة أو فوق ذلك أو دونه، ولكن الشمس من غاز ونقاط على سطحها عند خط استوائها تدور الدورة الواحدة حول محور الشمس في وقت أقل مما تدور به نقاط على سطحها أبعد من خط استوائها يبلغ نحو من أربعة وعشرين من أيامنا، وهو قرب قطبيها و يبلغ نحو اربعة وثلاثين يوما، وهذا الأدب العالي مع القرآن الكريم هو بالضبط ما التزمه الصحب الاجلاء رضوان الله عليهم، والتابعون لهم باحسان فيما بعد تجاه كل الايات التي تطرقت، لمواضيع كونية لم يكن الجهد البشري قد وصل الى

^(١) سورة يس، الآية (٣٨).

اشراقات حولها، وهذا بالضبط ما ينبغي لنا ان نلتزم به تجاه ما لم نتوصل له بعد وإلى الأشراقات بحقيقة ما جاء في كلام الله تعالى ^(١).

وتدل السنن الطبيعية التي تلازم الشمس والقمر على ان ورائها قوة مدبرة هي التي تسيرها وفق قاموسها الحكيم وقانونها المنظم، وقد ظهر ذلك بجلاء في محاجة ابراهيم (ع) لنمرود الطاغية، فحين بين ابو الانبياء أن ربه يحي ويميت، أدعى نمرود أنه يفعل ذلك أيضا، فما كان من النبي الكريم (ص) والذي رأى مغالطته، الا ان يفاجئ بتلك السنة الحكيمة وذلك القانون المطرد الذي يراه الناس كل حين واضحا في شروق الشمس من المشرق وغروبها من المغرب، واذا به يتحداه في ثبات وعزم أن يغير هذا الناموس الذي وضعه رب ابراهيم ان كان هوربا كما يزعم، فما كان من ذلك الطاغية تجاه هذه الحجة الدامغة الا ان يبهت بعد أن عدم الدليل وأسقط في يده، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الدليل بقوله: "ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، اذ قال ابراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحيي وأميت، قال ابراهيم فأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين". ^(٢)

قال الطبرسي في تفسير هذه الآية "قال ابراهيم (ص): فأن الله هوربي يأتي بالشمس من مشرقها فأت بها _ أن كنت صادقا انك اله _ من مغربها، قال الله تعالى في ذكره الحكيم، فبهت الذي كفر، يعني انقطع وبطلت حجته، قال: فأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب" والمعنى أن ربي الذي يعطي الحياة ويسلبها بقدرته وحكمته هو الذي يطلع الشمس من المشرق، أي هو المكون لهذه الكائنات بهذا النظام والسنن الحكيمة التي نشاهدها عليها، فأن كنت تفعل كما يفعل، فغير

^(١) شاكر عبد الجبار، ملامح كونية في الفضاء، مصدر سابق، ص ٦٠-٦٤.

^(٢) سورة البقرة، الآية (٢٥٨)

نظام طلوع الشمس وآت بها من الجهة المقابلة للجهة التي جرت سنته تعالى بظهورها منها^(١).

وهذه اشارات لما تضمنه الفكر الجغرافي في القرآن الكريم ، فالشمس والقمر في كل العصور قربان الى عين الناظر، وهما ألصق بحياته وتناولهما بشكل خاص ينفع جدا في تحصيل الاعتبار البشري والخشوع امام اقتدار الخالق ، أما بالنسبة لأفلاك الشمس فهي كثيرة عندما نضم اليها كل توابعها من كواكب بأقمارها ونجوم وجزرا صغيرة من الصخر والمدن وهي كلها ذات أفلاك وبعضها له أكثر من مدار كالأرض التي تدور حول محورها وحول الشمس وضمن موكب المجرة الدائرة فالشمس جرم يكون النار فيه ذاتيا ويشع حرارة وضوء الى غيره وهو بذلك تشبيه بالنجوم التي تنتج الطاقة ولا تستعيرها من أجرام أخرى ، أما القمر فهو جرم معتم ليس فيه نارا ولا ينتج طاقة انما يستمدّها من الشمس شعاعا يقوم بعكسه ضوءا الى الأرض نشعر بالراحة في ليالينا وننتفع به ، وقد تحدث القرآن الكريم أيضا عن دقة المسارات في حركة الاجرام السماوية لاسيما الشمس والقمر اللذين نشاهدهما بكثرة وننتفع بوظائفهما بشكل تتوقف حياتنا يقول تعالى "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم"^(٢). "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون"^(٣)..^(٤)

ويتبين من الايتين (٨٧) و (٩٠) من سورة الكهف بان الله تعالى يخاطب ذو القرنين بانه حتى اذا بلغ مشرق الشمس وهو مكان شروقها في رأى العين فوجدها تطلع على قوم يعيشون على الفطرة ولا يسترها عنهم ساتر من مرتفعات او اشجار

^(١) كاصد ياسر الزيري ، الطبيعة في القرآن الكريم ، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠، ص ٢٥٠-٢٥١ .

^(٢) سورة يس ، الآية (٣٨)

^(٣) سورة يس ، الآية (٤٠)

^(٤) شاكر عبد الجبار ، القرآن يفك لغز الأرض ، مصدر سابق ، ص ١٨-١٩ .

او ملابس ، اي انهم يعيشون في ارض مستوية مكشوفة ، وقد دعاهم الى الايمان كما دعا اهل المغرب ، وبذلك فقد تم تحديد المناطق التي تحدد لشروق الشمس وغروبها.

اما الاية (٧) من سورة الدخان وبحسب تفسير الجلالين بانه تعالى رب السماوات والارض فايقنوا بان محمد رسول الله (ص) ، في حين يقول الطبري في تفسيره ان رب السماوات والارض وما بينهما سبحانه وتعالى يقول يا محمد انزل هذا الكتاب عليك وارسلك الى هؤلاء المشركين رحمة من ربك مالك السماوات السبع والارض وما بينهما من الاشياء كلها ، وقوله (ان كنتم موقنين) يقول : أن كنتم موقنين بحقيقة ما اخبرتكم ، ان الله هو الذي له هذه الصفات ، وان محمد (ص) رسوله حق يقين ، فايقنوا به كما ايقنتم من حقائق الاشياء وغيرها .

المبحث الثاني الظواهر الطبيعية في القرآن الكريم

مقدمة :

أشار الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم الى الظواهر الطبيعية مثلما أشار الى السماء والأرض والشمس والقمر ، وقد ورد ذلك في آيات عديدة نكتفي بذكر عدد منها وهي كالآتي :-

"بسم الله الرحمن الرحيم"

١- قوله تعالى : " هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال " سورة الرعد . الاية (١٢) .

٢- قوله تعالى : " ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) سورة الرعد . الاية (١٣) .

٣- قوله تعالى : "أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق جذر الموت والله محيط بالكافرين "سورة البقرة . الاية (١٩) .

٤- قوله تعالى : "يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو يشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم انه على كل شئ قدير "سورة البقرة . الاية (٢٠) .

٥- قوله تعالى : "وأذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتتخذون من الجبال بيوتا فاذكروا الله ولا تعشوا في الأرض مفسدين "سورة الاعراف . الاية (٧٤) .

٦- قوله تعالى : "ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمة ربه قال رب أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك اليك وأنا أول المؤمنين "سورة الاعراف . الاية (١٤٣) .

٧- قوله تعالى: "واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله وظنوا أنهم واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون" سورة الاعراف . الآية (١٧١).

٨- قوله تعالى: "مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون" سورة آل عمران . الآية (١١٧).

٩- قوله تعالى: "هو الذي يسيركم في البر والبحر حق اذا كنتم في فلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين" سورة يونس . الآية (٢٢).

يوضح تفسير الجلالين للآية (١٢) من سورة الرعد بان الخوف للمسافرين من الصواعق ، (وطمعا) للمقيم في المطر ، (وينشئ) يخلق السحاب الثقال (اي المثقلة) بالمطر، اما تفسير أضواء البيان للشنقيطي فيقول : خوفا للمسافر اي يخاف أذاه ومشقته ، وطمعا للمقيم يرجو بركه ويطمع في رزق الله . وعن الحسن : الخوف لاهل البحر والطمع لاهل البر ، ويرى آخرون الخوف من الصواعق والطمع في الغيث . في حين نجد ان ابن كثير يفسر قوله تعالى : بانه هو سبحانه وتعالى الذي يسخر البرق ، وهو ما يرى من النور اللامع ساطعا من خلال السحاب ، وسئل عن البرق ، فقال البرق الماء . وقوله تعالى (خوفا وطمعا) قال خوفا للمسافر يخاف أذاه ومشقته وطمعا للمقيم يرجو بركه ومنفعته ويطمع في رزق الله ، وينشئ السحاب الثقال : اي يخلقها منشأة جديدة ، وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة من الأرض ، والسحاب الثقال هو الذي فيه الماء ، وقال موسى بن عبيدة عن سعد بن ابراهيم قال : يبعث الله الغيث ، فلا احسن منه ضحكاً ولا أنس منه منطقاً ، فضحكه البرق ومنطقه الرعد .

يبين تفسير الآية (١٣) من سورة الرعد قوله تعالى : ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ، اي يرسلها نعمة ينتقم بها ممن يشاء ، ولهذا تكثر في آخر الزمان . ويذكر اليعقوبي في تفسيره بان اكثر المفسرين يرجع الى ان الرعد هو ملك يسوق

السحاب ، وان الصوت المسموع منه تسيحه . وقال ابن عباس من يسمع صوت الرعد يقول سبحان الذي يسبح الرعد بحمده .. والصواعق ، جمع صاعقة وهي العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه ، فيصيب من يشاء كما اصاب أريد بن ربيعة (اي اصابته واحرقته) . وقال محمد بن علي الباقر : الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر .

يشير تفسير الآية (١٩) من سورة البقرة . الى قوله تعالى مثلهم (كصيب) ، اي كصاحب ومطر واصله صيوب من صاحب يحوي أي السحاب ، (الظلمات) اي متكاثفة ، (ورعد) ويقصد به : (صوت يسمع في السحاب احيانا عند تجمعها) هو الملك الموكل به وقيل صوته ، (وبرق) والذي يقصد به أيضا (انه الضوء الذي يلمع في السحاب غالبا وربما لمع في الأفق حيث لاسحاب) ، (يجعلون) أي اصحاب الصيب ، (اصابعهم) أي اناملهم (في اذانهم من) أجل (الصواعق) اي شدة صوت الرعد ليلا يسمعوها ، (حذر) خوف ، (الموت) من سماعها ، كذلك هؤلاء اذ نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات ، والوعيد المشبه بالرعد ، والوعد والحجج البينة المشبهة بالبرق والصواعق ، واسباب هذه الظواهر هي اتحاد كهربائية السحاب الموجبة بالسالبة كما تم التوصل الى ذلك في العلوم الطبيعية .

والمقصود بالصواعق :- الصاعقة نار عظيمة تنزل أحيانا اثناء المطر والبرق وسببها تفريغ كهربائي يحدث في السحب ويجذبها الى الأرض . وتشير الآية (٢٠) من سورة البقرة أيضا الى (يكاد) يقرب ، (البرق يخطف أبصارهم) يأخذها بسرعة (كلما اضاء لهم مشوا فيه) اي في ضوئه (واذا أظلم عليهم قاموا) وقفوا (وهومثيل لاعجاز في القرآن) لقلوبهم وتصديقهم لما سمعوا به. ^(١)

اما الآية (٧٤) من سورة الاعراف (واذكروا أذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) فهي تعني اذكروا نعم الله تعالى عليكم في أن اورثكم الارض ومكنكم فيها من بعد

^١ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السبرطي ، تفسير

الجلالين ، مصدر سابق ، ص ٥ .

عاد (وبؤاكم في الأرض أي أنزلكم فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتا تأوون إليها) (وتتخذون من سهولها قصورا "والسهل خلاف الجبل وهو مالميس فيه مشقة على نفس أي تبنون في سهولها الدور والقصور وأنما أتخذوها في السهول ليصفوها فيها) (وتتخذون الجبال بيوتا يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء أحصن وادفأو يروي أنهم لطول أعمارهم يحتاجون الى أن ينحتوا بيوتا في الجبال لأن السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم (فأذكروا الله) ، أي نعم الله عليكم (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) أي ولا تضطربوا بالفساد في الأرض ولا تبالفوا فيه (١).

وتبين الآية الكريمة (١٤٣) من سورة الاعراف الى أنه سبحانه ذكر حديث لميقات موسى فقال (ولما جاء موسى لميقاتنا) معناه ولما انتهى موسى الى المكان الذي وقتناه له وأمرنا بالمصير اليه لتكمله وننزل عليه التوراة ، وقيل لفظ الميقات يقع على الزمان والمكان كمواقيت الاجرام فأنها للأمكنة التي لا يجوز مجاوزتها لأهل الأفاق ألا وهم محرمون ، وكلمة ربه اي موضع اسمعه كلامه من الشجرة فجعل الشجرة محلا للكلام ، قال ربي أرني أنظر اليك (قال لن تراني) ، هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تراني ابدا (ولكن أنظر الى الجبل فاذا استقر مكانه فسوف تراني) (علق رؤيته باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر (فلما تجلّى ربه للجبل) اي ظهر أمر ربه لأهل الجبل (جعله دكا) أي مستويا بالأرض (وخر موسى صعقا) اي سقط مغشيا عليه (٢).

ويتضح لنا من الآية الكريمة (١٧١) من سورة الاعراف الى أن الله سبحانه وتعالى عاد في الكلام الى موسى (ع) فقال سبحانه (واذا نتقنا الجبل فوقهم) وهذا يعني ان الله يخاطب النبي محمد (ص) ، اذ قلنا الجبل من أصله ، فدمغناه فوق بني اسرائيل

(١) أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ص ٤٤.

(٢) المصدر اعلاه، ص ٤٧٤- ٤٧٥.

وكان عسكر موسى (ع) فرسخا في فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم (كأنه ظله اي غمامة وقيل سقيفه).^(١)

ان تفسير الآية الكريمة (١١٧) من سورة آل عمران يشير الى وصف الله سبحانه وتعالى لحال الكافرين وقال لهم أن ما تنفقون كمثل مهلك ريح ، فيكون تشبيه ذلك الاتفاق من الحرث بالريح (فيها صر) قيل برد شديد وقيل أيضا السموم الحارة القاتلة أيضا (أصابت حرث قوم) أي زرع قوم (ظلموا أنفسهم) بالمعاصي فظلمهم اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم ، وقيل ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزراعة او في غير وقتها فجاءت الريح فأهلكته ، تأديبا لهم من الله في وضع الشيء غير موضعه الذي هو حقه (وما ظلمهم الله) في اهلاك زرعهم لأنهم أستحقوا ذلك بظلمهم.^(٢)

ونستوضح من الآية (٢٢) من سورة يونس الى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر ، أي انه تعالى هو الذي وهبكم القدرة على السير في البر وسخر لكم الابل و الدواب وفي البحر بما سخر لكم من السفن وفي الهواء الطائرات التي تسير في الجو حتى اذا كنتم في الفلك التي سخرناها لكم وجرت بمن فيها بسبب ريح مواتيهم لهم في جهة سيرهم وفرحوا بما هم فيه من راحة وانتعاش ، وهو الهواء العليل وبعدها جاءت ريح شديدة قوية فاضطرب البحر وتموج سطحه كله فتلقاهم من جميع الجوانب بتأثير الريح واعتقدوا أنهم هالكون بتأثير الريح العاصف الذي يهبط بهم في لجج البحر كأنهم سقطوا في هاوية ، واذا به يثبت بهم الى أعلى كأنهم في قمة الجبل الشاهق فإذا ما نزلت بهم دعوا الله مخلصين له الدين ليكشف عنهم ما حل بهم.^(٣)

^(١) المصدر اعلاه ، ص ٤٩٦ .

^(٢) أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، المصدر السابق نفسه ، ص ٤٩ .

^(٣) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، مصدر سابق ، ص ٨٩ .

ومن اسرار الخليفة التي أشار اليها الوحي الاله هي حاجة انتاج قسم من الأشجار والنبات الى لقاح فقال سبحانه (وأرسلنا الرياح لواقع) ^(١)، أذ أن المفسرين الأقدمين وان حملوا اللقاح في الآية الكريمة على معنى الحمل، باعتبار أنه أحد معانيه، وفسروا الآية المباركة بحمل الرياح للسحاب أو المطر الذي يحمله السحاب ولكن التنبيه على هذا المعنى ليس فيه اهتمام كبير ولا سيما بعد ملاحظة أن الرياح لا تحمل السحاب وانما تدفعه من مكان الى آخر، والنظرة الصحيحة في معنى الآية هو الإشارة الى حاجة انتاج الشجر والنبات الى اللقاح، وان اللقاح قد يكون سببه الرياح، كما في الشمس والصنوبر والبرتقال والقطن ونباتات الحبوب وغيرها، فأذا نضجت حبوب الطلع انفتحت الاكياس وانتشرت خارجها محمولة على أجنحة الرياح فتسقط على مياسم الأزهار الأخرى ^(٢)، وكما قال تعالى "وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت، فأنزلنا به الماء فأخرجنا به كل الثمرات." ^(٣)

وينتج عن حركة الرياح هذه أفعالا بقدرة الخالق عز وجل وليس بصدفة ولا بجران عشوائي، فهي تتحرك فوق الأرض وفي كل لحظة، وفي مختلف الاتجاهات وبمستوى من القوة والضعف وبقدر مختلف من الحرارة، مما يرافق ذلك كله اثار عديدة تمس حياة الاحياء فوق الأرقض وبصورة مباشرة، انها قدرة عظمية ليست بخافية على تصور العاقل، اذا كيف تتحرك الرياح وكيف يتحقق من حركتها هذه المقاصد وتبقى مواظبة على وظائفها ^(٤)، فهذه الخصائص الطبيعية التي تؤثر على الحياة ماهي الا وفق أعجاز الألهي، لا يمكن للإنسان مهما وصل من مقدرة علمية أن يصنع رياحا بهذه الخصائص وأن يتحكم باتجاهاتها وعلى مساحات واسعة على الكرة الارضية وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم.

(١) سورة الحجر، الآية (٢٢).

(٢) ابو القاسم الموسوي الخوئي، البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ص ٨٣.

(٣) سورة الاعراف، الآية (٥٧).

(٤) شاعر عبد الجبار، القرآن يفك لغز الارض، مصدر سابق، ص ٥١.

المبحث الثالث المياه في القرآن الكريم

مقدمة :

"بسم الله الرحمن الرحيم" : (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون)
سورة الانبياء . الاية (٣٠) .

ذكر الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الحكيم وفي مواضع متعددة من الآيات القرآنية التي توضح أصل تكوين المياه وأهميتها في الحياة سواء بالنسبة للإنسان أو الحيوان أو النبات لذا سنركز في ذكر الآيات القرآنية التي توضح المياه وما يرافقها من صور سواء أكانت امطاراً أما على شكل أنهار وما ينتج عن ذلك من مسطحات مائية (ينابيع ، انهار ، بحار) ووفق ذلك وكما يأتي:-

أولاً : الماء

أكد الله سبحانه وتعالى في الاية (٣٠) في سورة الانبياء (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) على دور الماء في وجود الحياة وديمومتها ، ومن الظاهر هنا ان كلمة (جعل) جاءت بمعنى (خلق) لانها متعدية لمفعول واحد ، ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة النور (والله خلق كل راية من الماء) . اختلف العلماء في معنى خلق كل شيء من الماء ، اذ يؤكد عدداً منهم على ان الماء الذي خُلِقَ منه كل شيء هو النطفة ، لان الله خلق جميع الحيوانات التي تولد عن طريق التناسل من النطفة وعلى هذا فهو من العام المخصوص ، في حين يؤكد عدد آخر من العلماء على ان المقصود هو الماء المعروف ، لان الحيوانات اما مخلوقة منه مباشرة كبعض الحيوانات التي تتخلق من الماء ، او غير مباشرة لان النطفة من الاغذية ، والاغذية كلها ناشئة من الماء ، كما في الحبوب والثمار ونحوها ، وكذلك هو في اللحوم والالبان والاسماك ونحوها ، لان كل ذلك ناشئ بسبب الماء .

كما يؤكد المتخصصون بالعلم بان معنى خلقه كل حيوان من ماء ، اي ان الله سبحانه وتعالى كانما خلقه من الماء لفرط احتياجه اليه ، اذ اكد الرازي بقوله :
اختلف المفسرون فقال بعضهم بان المراد من قوله تعالى (كل شيء حي) بانه كل ما ينضوي تحته من حيوان ونبات وشجر لانه من الماء صار ناميا وصار فيه من الرطوبة والخضر والنوى والثمر .

ويؤكد السعدي في تفسيره على الاية باكملها (اولم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون) ، اي : أولم ينظر الذين كفروا بربهم وجحدوا الاخلاص له في العبودية الى ما يدلهم دلالة مشاهدة فيشاهدون السماء والارض فيجدونهما رتقا ، اي الماء ليس فيها سحاب ولا مطر ، والارض هامدة لانبات فيها ، ففتقناهما : السماء بالمطر ، والارض بالنبات ، اليس الذي اوجد في السماء السحاب بعد ان كان الجو صافيا ، واودع فيه الماء ، ثم ساقه الى بلد ميت قد اغيرت ارجاؤه وقحط عنه ماؤه ، فامطره فيها ، فاهتزت ، وتحركت ، وربت ، وانبتت من كل زوج بهيج ، يختلف الانواع ، متعدد المنافع ، اليس ذلك دليلاً على أنه الحق ، وما سواه باطل ، وأنه محيي الموتى ، وأنه الرحمن الرحيم ، ولهذا قال : (افلا يؤمنون) اي ايماناً صحيحاً ، ما فيه شك ولاشك .

ويوضح تفسير الجلالين الاية أولم ير.....) ، كانتا رتقا ، أي سداً ، بعنى مسدودة (وجعلنا) اي جعلنا السماء سبعا والارض سبعا ، او فتق السماء ، فان كانت لا تمطر فامطرت ، وفتق الارض ، فان كانت لاتنبت فانبتت ، (من الماء كل) اي النازل من السماء ، والنابع من الارض ، (شيء حي أفلا) من نبات وغيره ، اي الماء سببا لحياته ، (يؤمنون) اي بتوحيدي . اما تفسير ابن كثير ولفس الاية فيقول : اي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئاً فشيئاً عياناً وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء . ففي كل شيء له آية تدل على انه هو .

وتأتي أهمية الماء في قوله تعالى : (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تاكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون) سورة السجدة . الاية (٢٧) ، اذ يشير الباري عز وجل الى ذلك باننا نسوق الماء الى الارض الجرز ، اي اليابسة التي لانبات فيها ، (فنخرج به زرعاً) ، تاكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون ، ويقولون هذا فيعلموا إنا نقدر على اعادته ^(١) ، ويشير تفسير الاية ايضاً الى ان الارض (الجرز) الارض الجرداء ، وهذا ما ورد في سورة الكهف في قوله تعالى (وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) ^(٢) .

ويبين تفسير الطبري الارض الجرز حينما قال : عن ابن بجيج عن رجل ابن عباس في قوله تعالى (الى الارض الجرز) اي التي لا تمطر الا مطراً لا يغني عنها شيء الا ما ياتيها من السيول . وورد عن الارض الجرز ، التي ليس فيها نبت وايضاً : التي ليس عليها شيء وليس فيها نبات ، فيخرج بها زرعاً تاكل منه انعامهم وانفسهم ، ويقول تعالى فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه اليها على يسرها وغلضها وطول عصدها بالماء زرعاً اخضراً تاكل منه مواشيهم ، وتتغذى به ابدانهم فيعيشون به ، (افلا يبصرون) اي افلا يرون ذلك باعينهم ؟ .

وتوضح الاية الى ان الارض الجرز هي التي لا نبات فيها ، أي الارض الجرداء ألقاحلة ، وهنا اشارة الى نوع من الترب الملحية الفقيرة الشديدة التماسك ، فقد أوضح القرآن الكريم في موضع اخر الى ظاهرة تصنيف الارض وفق خصائص تربتها لأهمية الماء في ذلك في قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وقد أوضح القرآن الكريم الحقائق الجغرافية الآتية : ظاهرة التربة الملحية الفقيرة وهي على انواع منها : التربة السبخية المستنقعية والتربة الملحية الجافة ، وكلها معروفة عند العرب في شبه

^(١) الزمخشري ، تفسير الجلالين .

(2) الشنقيطي ، تفسير أضواء البيان .

الجزيرة العربية التي تقطعها شبكات كثيرة من الأودية الجافة ، من أشهرها : وادي الروة ووادي الدواسر في وسط الجزيرة ووادي حضرموت في جنوبها ، وأودية جيزان ونجران في غربها. وكذلك اراضي الخليج العربي المرتفعة الملوحة والفقيرة في أنتاجيتها.

وتوضح السور والآيات بأن خصائص المياه قد حددت بعذوبتها في قوله تعالى (أفرأيتم الماء الذي تشربون) "٦٨" ، (أنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون). الواقعة "٦٩" ، ويوضح الله سبحانه وتعالى هنا بأنه انزل الماء من السحب بخصائص العذوبة ولم يجعله ماءً أجاباً أي ماء زعاقاً مرا لا يصلح للشرب والزرع ، مما يتطلب الشكر لنعمة الله علينا في ذلك . (تفسير ابن كثير)^(١) كما يوضح القرآن الكريم في سورة المرسلات الآية "٢٧" (وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتاً) ، ويعني ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق في الأرض الجبال لكي لا تضطرب وتتوازن في معالم سطحها وزود الإنسان بالماء العذب الزلال من السحب أو مما أنبعه من عيون في الأرض ، وهذا الماء الفرات العذب يرسل من السحب ويكون الأنهار التي أشير لها في أربعة أنهار هي (سيحان وجيحان والنيل والفرات) وكل ما يشربه ابن آدم من هذه الأنهار ولكن الله سبحانه وتعالى أخص الفرات في ذلك لعذوبة مياهه .

ثانياً : السحب والأمطار :-

تعد المياه التي ورد ذكرها في السور والآيات المصدر الرئيسي للأمطار ، اذ ورد ذكرها في القرآن الكريم في مواضع عديدة لأهميتها بالنسبة لعناصر البيئة الحيوية ، وسوف تقتصر على ذكر عدد منها وهي كالآتي :-

"بسم الله الرحمن الرحيم"

١- قوله تعالى : " هو الذي يرىكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال) سورة الرعد . الآية (١٢) .

^(١) عماد الدين ابو الفداء ، اسماعيل بن عمران ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، الاعلام ، ط ٥ ، ١٤٠٠هـ

٢- قوله تعالى : "الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون" سورة البقرة . الآية (٢٢).

٣- قوله تعالى : "وأمرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين" سورة الاعراف . الآية (٨٤).

٤- قوله تعالى : "الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الأنهار". سورة ابراهيم . الآية ، (٣٢) .

٥- قوله تعالى : "انزل الله من السماء ماء فسال أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا راييا". سورة الرعد . الآية (١٧) .

يبين لنا تفسير الآية (١٢) من سورة الرعد بان الله سبحانه وتعالى يريكم البرق في السماء وانتم تخافون من ان تصيبكم منه صاعقة وفي الوقت نفسه تطمعون ان ينزل لكم المطر بعد البرق فيسقي زرعكم ودوابكم ، وان الله تعالى هو يوجد السحاب الثقيلة (التراكمية) المحملة بالماء الذي يصير ويتكون وينزل مطرا ، وينزل ويسقي لكم الحرث والزرع والبساتين . في حين يشير تفسير الآية (٢٢) من سورة البقرة الى أن الله سبحانه وتعالى جعل الأرض فراشا أي بساطا يفتersh لاغاية في الصلاة أو لليونة فلا يمكن الاستقرار عليها والسماء بناء ، سقفا وانزل من السماء ماء (مطر) فأخرج به من انواع الثمرات رزقا لكم .^(١)

وتؤكد الآية الكريمة (٨٤) من سورة الاعراف ، بقول ألباري ألقدير "وامطرنا عليهم مطرا" أي أرسلنا عليهم الحجارة كالمطر .^(٢)

^(١) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تفسير الجلالين ، مصدر سابق ، ص ٦ .

^(٢) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، المجلد السابع ، ص ٤٤٥ .

ويوضح القرآن الكريم المطر في الآية الكريمة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفة ألوانه ثم يهييج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لأولي الاباب).^(١)

قال الزمخشري ان المقصود بـ "أنزل من السماء" هو المطر ، وقيل كل ما في الأرض فهو من السماء ينزل منها ثم يقسمه الله (فسلكه) فأدخله ونظمه "ينابيع في الأرض" عيوننا ومسالك ومحاري كالعروق في الاجساد ، مما يوضح دورة الماء في الطبيعة ، وعلى هذا الأساس يظهر النبات (مختلفا ألوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو أصنافه من رز وشعير وغيرها ، (يهيج) يتم جفافه عن الاصععي ، لانه اذا تم جفافه حان له أن ينفصل عن منابعه ويذهب حطاما (فتاتا) ، ولا حاجة لنا الى ما ذكره الزمخشري من أن الماء ينزل الى الصخرة ثم يقسمه الله ، اذ ليس لدينا دليل على وجود هذه الصخرة ولعله اراد طبقة قوية من الأرض لاينفذ منها الماء الى باطن الأرض فان كل قصده ذلك مقبول والا فلا .

وقال البيضاوي "ان في ذلك لذكرى" لتذكيرا بأنه لا بد له من صانع حكيم دبره وسواه ولايتعارض مع مفهوم الآية ما اثبته العلم الحديث من أن الماء يتولد من السحاب المتراكم والمتكون من ذرات البخار المتصاعد من الأرض . فأن لهذا التبخر والتجمع أسبابا والذي اوجد هذه الاسباب هو الله سبحانه وتعالى ، هذا في بيان نعمة الماء المنزل من السماء واخراج النبات به وما يصاحبه من تغير وتبدل يوحي بوجود الصانع القادر .^(٢) كما يعزز ذلك قول الباري جل جلاله في سورة الأعراف الاية (٥٧) "وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمة حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون" ، وفي هذه الاية يوضح الله بأنه يرسل الرياح بشرا أي منتشرة وهي تحمل السحاب لتسقط الامطار على المناطق القاحلة وأحيائها بعد أن كانت ميتة

^(١) سورة الزمر، الآية (٢١) .

^(٢) كاصد ياسر الزبيدي ، الطبيعة في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ٢٥٣- ٢٥٤ .

مجدبة لا نبات فيها أي أحياء الأرض بعد موتها ، وهذا يعزز أهمية ودور الماء في البيئة وضرورة المحافظة عليه لأنه مصدر الكائنات الحية.

ثالثاً : الأنهار :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

١- قوله تعالى : "واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين "سورة البقرة . الاية (٦٠)

٢- قوله تعالى : "قل أونيثكم بخير من ذلكم للذين إتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان الله والله بصير بالعباد "سورة آل عمران ، الاية (١٥).

٣- قوله تعالى : "أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين "سورة آل عمران . الاية (١٣٦).

٤- قوله تعالى : "فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأذوا في سبيلي وقتلوا ولأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله عنده حسن الثواب "سورة آل عمران . الاية (١٩٥).

٥- قوله تعالى : "لكن الذين إتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأترار "سورة آل عمران . الاية (١٩٨).

٦- قوله تعالى : "تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم "سورة النساء . الاية (١٣).

٧- قوله تعالى : "والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا "سورة النساء . الاية (٥٦).

٨- قوله تعالى : "والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا "سورة النساء . الآية (١٢٢).

٩- قوله تعالى : "فأنايبهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين "سورة المائدة . الآية (٨٥).

١٠- قوله تعالى : "وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن "سورة التوبة . الآية (٧٢).

١١- قوله تعالى : "اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها "سورة التوبة . الآية (٨٩).

١٢- قوله تعالى : "إن الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم باءيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم "سورة يونس . الآية (٩).

يشير تفسير الآية (٦٠) من سورة البقرة الى أن الله سبحانه وتعالى بعد أن ظل قوم موسى بالغمام وأطعمهم من المن والسلوى سقاهاهم الماء أيضا ، فأجرى لهم اثني عشرة عينا بقدر عشائهم ،فاختصت كل عشيرة بعين خاصة بها حتى لا يقع بينهم الشجار والتنازع على الماء.(١)

ويوضح لنا تفسير الآية (١٥) من سورة آل عمران الى أن الله سبحانه وتعالى قال (قل أوّتينكم بخير من ذلكم)المتاع الفاني للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها .(٢)

وتؤكد الآية (١٣٦) من سورة آل عمران أيضا ، الى أن الله سبحانه وتعالى أكد بقوله أن الذين يفعلون فاحشة ثم يتوبون فأولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم جنات

^١ (محمد جواد مغنیه ،التفسير الكاشف ،مصدر سابق ،ص ١١١ .

^٢ (عبد الله شبر ،تفسير شبر ،مصدر سابق ،ص ٨٧ .

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، (١) ووردت كلمة الأنهار أيضا في الآية الكريمة (١٩٥) من سورة آل عمران ، حيث اشار الى الجنات التي تجري من تحتها الأنهار والتي أعدت للذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل الله من المسلمين (٢).

وبين تفسير الآية الكريمة (١٩٨) من سورة آل عمران الى الأنهار التي تجري تحت الجنات والتي أعدت للذين اتقوا ربهم خالدين فيها (٣) ، في حين أن تفسير الآية (١٣) من سورة النساء الى أن الذي يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ، اي من تحت اشجارها وأبنيتها الأنهار اي ماء الأنهار خالدين فيها ، اي دائمين فيها . (٤)

ويظهر من الآية (٥٦) من سورة النساء الى أن الذين امنوا وعملوا الصالحات سيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، اي من تحت اشجارها وقصورها (الأنهار) ، اي ماء الأنهار دائمين فيها . (٥)

أما الآية (١٢٢) من سورة النساء فهي توضح الى أن الذين امنوا وعملوا الصالحات سيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . (٦) كما أن الآية (٨٥) من سورة المائدة توضح الى أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الأنهار التي جاءت

^(١) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تفسير الجلالين ، مصدر سابق ، ص ٨٣ .

^(٢) عبد الله شبر ، المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٦ .

^(٣) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المصدر السابق نفسه ، ص ٩٥ .

^(٤) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ١٩ .

^(٥) المصدر اعلاه ، ص ٦٢ .

^(٦) عبد الله شبر ، تفسير شبر ، مصدر سابق ، ص ١٢٦ .

بناءً على الجنات التي أعدها الله للمؤمنين والتي تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. (١)

ويتبين لنا من الآية الكريمة (٧٢) من سورة التوبة الى أن الله سبحانه وتعالى أعد للمؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، ومساكن طيبة في جنات عدن. (٢) ويتضح من الآية (٨٩) من سورة التوبة الى أن الله أعد للمؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. (٣) أما تفسير الآية (٩) من سورة يونس فيبين بأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم جنات تجري من تحتهم الأنهار، أي تجري من تحت غرفهم في الجنات النعيم. (٤)

رابعاً : القارات وما فيها من بر وبحر :-

تقدر مساحة الكرة الأرضية حوالي (٥١٠) مليون كيلو متراً مربعاً ، وتتكون هذه المساحة من المياه واليابسة حيث تغطي المياه حوالي (١ ، ٣٦١) مليون كيلو متراً مربعاً وينسبة (٨ ، ٧٠ ٪) ، في حين تشكل اليابسة (١٤٨،٩) مليون كيلو متراً مربعاً وبنسبة (٢ ، ٢٩ ٪) ، أي أن مساحة المياه تزيد على مساحة اليابسة بنحو (٤ و ٢) مرة تقريباً ، كما هو معروف في الدراسات الجغرافية وما توصل اليه تطور علم الجغرافية حالياً ، في حين أن القرآن الكريم قد أكد على ذلك من خلال عدد من السور والآيات ، اذ نجد بأن كلمة البحار (المياه) قد وردت في القرآن الكريم (٣٢) مرة، وذكرت كلمة البر أي اليابسة في القرآن الكريم (١٣) مرة ايضاً ، فأذا ما جمعنا عدد كلمات البحار والبر والتي وردت في تلك السور والآيات القرآنية فأن مجموعهما يصل الى (٤٥) مرة ، وأذا ما قمنا بوضع معادلة بسيطة ووفق ما يأتي :

(١) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، المصدر السابق نفسه ، ص ٥

(٢) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تفسير الجلالين ، مصدر سابق ، ص ٢٥٣ .

(٣) المصدر اعلاه ، ص ٢٥٦ .

(٤) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، مصدر سابق ، ص ٧١ .

(١) - مجموع كلمات البحر مقسومة على المجموع الكلي (البر والبحر)

وتضرب في (١٠٠) وكالاتي : $٤٥/٣٢ = ١٠٠ \times ٧١,١١١١١١١١١١١١\%$

(٢) - مجموع كلمات البر التي وردت في القرآن الكريم مقسومة على مجموع

كلمات (البر والبحر) ومضروبة في النسبة (١٠٠) وكالاتي : $٤٥/١٣ = ١٠٠ \times$

$= ٢٨,٨٨٨٨٨٨٨٨٨٨٨٨٩\%$ وهي نسبة اليابسة من الكرة الأرضية

وسيتضح من المعادلتين اعلاه بان هذا الاعجاز القرآني قد تم التوصل له ومنذ

اكثر من (١٤) قرنا في حين أن العلم الحديث توصل الى أن نسبة المياه على الكرة الأرضية (٧١٪) ونسبة اليابسة على الكرة الأرضية (٢٩٪) في وقت متأخر .

وردت الكثير من الآيات القرآنية التي تضمنت البر والبحر وسوف تقتصر على

ذكر ما يؤكد على ذلك من الآيات بصورة مباشرة وهي كالآتي:-

"بسم الله الرحمن الرحيم"

١- قوله تعالى : "وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما

تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في

كتاب مبين "سورة الانعام . الاية (٥٩).

٢- قوله تعالى : "قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن

انجانا من هذه لنتكونن من الشاكرين "سورة الانعام . الاية (٦٣).

٣- قوله تعالى : "وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد

فصلنا الآيات لقوم يعلمون "سورة الانعام . الاية (٩٧).

٤- قوله تعالى : "واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون

"سورة البقرة . الاية (٥٠).

٥- قوله تعالى : "وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أضام لهم

"سورة الأعراف . الاية (١٣٨).

٦- قوله تعالى : "وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتعبهم فرعون وجنوده بغما وعدوا

"سورة يونس . الاية (٩٠).

تشير الآية الكريمة (٥٩) من سورة الانعام الى ما ذكره الله سبحانه وتعالى فيها بأنه يعلم بكل شئ من مبتدأت الامور وعواقبها وعنده مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا هو ، ولا يقدر أحد أن يفتح باب العلم به للعباد الا الله ، (ويعلم ما في البر والبحر) من حيوان وغيره، وقيل البر القفار والبحر كل قرية فيها ماء .^(١)

وتأتي الآية (٦٣) من سورة الانعام لتؤكد لنا ذلك في قوله تعالى "قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر (شدائدهما وأهوالهما) ، أذ يقال لليوم الشديد المظلم وذو كواكب والذي اشتدت ظلمته حتى صار كالليل (تدعونه علانية وسرا) ، لأن نجانا من ذلك لنكون من الشاكرين ^(٢) ، كما تشير الآية (٩٧) من سورة الانعام الى ما يأتي (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها الى آخر الآية) والمعنى واضح ، وأن ما يراد به هنا انه جعل النجوم لكي تهتدي بها الناس في ظلام البر والبحر.^(٣)

ويوضح لنا تفسير الآية (٥٠) من سورة البقرة الى أن الله سبحانه وتعالى ذكر نعمه لقوم موسى فقالوا واذكروا (اذ فرقنا بكم البحر) اي فرقنا بين المائتين حتى مررتم فيه فكنتم فرقا بينهما تمرن في طريق يابس، وقيل معناه فرقنا البحر بدخولكم اياه فوق بين كل فريقين من البحر طائفة منكم يسلكون طريقا في اليابسة فوق الفرق بينكم، وقيل فرقنا بكم أي بسبيكم البحر لتمرروا فيه (فأنجيناكم) من البحر والغرق.^(٤)

وتشير الآية (١٣٨) من سورة الاعراف الى أن الله تعالى يؤكد فيها (وجاوزنا بني اسرائيل)، أي قطعنا بهم (البحر) النيل (نهر في مصر)، وجعلنا لهم فيه طريقا في اليابسة حتى عبروا ثم أغرقنا فرعون وقومه.^(٥)

^(١) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، المجلد الثاني، ص ٣١١

^(٢) عبد الله شبر، تفسير شبر، مصدر سابق، ص ١٥٦.

^(٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد السابع، ص ٢٨٨.

^(٤) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، المجلد الأول، مصدر سابق، ص ١٠٦-١٠٧.

^(٥) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، المجلد السابع، مصدر سابق، ص ٤٧١.

وقد أكد الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة (٩٠) من سورة يونس الى ما قام به من معونة حينما جاوز ببني اسرائيل البحر وأغرق آل فرعون عندما لحق بهم^(١)، والبحر سطح مائي هائل، فهذا الامتداد الواسع والعميق للبحر جاء وفق قوله تعالى (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) .^(٢)

والبحر هذا العملاق قد سخره الخالق عز وجل لخدمة مخلوق ضئيل اسمه الانسان فهل تسخيره يقتصر على جريان البواخر فقط وابتغاء فضل الله كالصيد والتجارة مثلا، أذ أن مدى الآية يبدو أوسع من ذلك، أذ أنه تعالى قال :- سخر لكم البحر أي أن البحر تم تسخيره للناس جميعا، فهل أن جميعهم يركب البحر ويأكل لحمه ويلبس حليته والجواب كلا، اذ ان قسما منهم قد يركبه وقسما منه قد يأكل منه وللماء خواص عديدة فهو المادة الوحيدة المعروفة التي تقل كثافتها عندما تتجمد ولهذه الخاصية اهمية كبيرة للحياة أذ بسببها يطفوا الجليد على سطح الماء عندما يشتد البرد بدلا من أن يغوص الى قاع المحيطات والبحيرات والأنهار ويكون تدريجيا كتلة صلبة لا سبيل الى أخراجها واذابتها ويكون الجليد الذي يطفوا على سطح البحر طبقة عازلة تحفظ الماء الذي تحتها في درجة حرارة فوق درجة التجمد . وبذلك تبقى الاسماك وغيرها من الحيوانات المائية حية وعندما يأتي الربيع يذوب الجليد بسرعة وعندما نضيف الى هذا مطاوعة ماء البحر لجاذبية القمر وما لفوائدها من الاهمية الكبيرة لعموم الحياة فوق الأرض.^(٣)

^(١) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ص ١٥١ .

^(٢) سورة الجاثية الآية (١٢) .

^(٣) شاكر عبد الجبار، القرآن يفك لغز الأرض، مصدر سابق، ص ٨٧-٨٥ .

المبحث الرابع الجغرافية الحيوية في القرآن الكريم

مقدمة :

تحدث القرآن الكريم عن الفكر الجغرافي الذي يتعلق بالحياة النباتية والحيوانية، أذ وردت الكثير من الإشارات القرآنية التي توضح ذلك، فمنها ما يتعلق بالحياة النباتية وسور وإيات أخرى أخرى بالحياة الحيوانية، ومن هذه الآيات القرآنية التي تعزز ذلك نورد منها ما يتعلق بالحياة النباتية أولاً وذلك وفق ما يأتي :-

"بسم الله الرحمن الرحيم"

١- قوله تعالى: "وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين" سورة البقرة . الآية (٣٥).

٢- قوله تعالى: "وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم ألن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم" سورة البقرة . الآية (٥٧).

٣- قوله تعالى: "وأذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير أهبطوا مصرأ فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بماعصوا وكانوا يعتدون" سورة البقرة . الآية (٦١).

٤- قوله تعالى: "وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون" سورة الانعام . الآية (٩٩).

٥- قوله تعالى: "وهو الذي أنشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه" سورة الانعام . الآية (١٤١).

٦- قوله تعالى: " وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون " سورة الرعد . الآية (٤) .

يتضح من الآية (٣٥) من سورة البقرة الى أن الله سبحانه وتعالى خاطب آدم (ع) فقال له أشكر أنت وزوجك الجنة (البستان) ، وكلا منها رغداً، أي العيش في الدار بهناء ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .^(١)

أما الآية (٥٧) من سورة البقرة فتبين لنا أنواع النبات والطيبات التي انزلها سبحانه وتعالى على عباده ، فقال لهم (وظللنا عليكم الغمام) أي جعلناه عليكم كالظله ، والغمام وهي السحاب لانها تغتم السماء أي تسترها ، وكل مغطى فهو مغموم (وانزلنا عليكم المُن والسُلوى ، وقد اختلف في المُن ، فقيل الثرنجيين وقيل شراب حلو، اما (السُلوى) فقيل بأنع السمانى بعينه والسُلوى العسل ، (كلوا من طيبات ما رزقناكم) ، أي كلوا من كل الطيبات التي جمعت بين الحلال واللذيد^(٢) ، وكذلك الحال بالنسبة للآية (٦١) من سورة البقرة . حيث أراد قوم موسى أن يستبدلوا الطعام الذي هو (المُن والسُلوى) بطعام غيره، وليس في هذا الطلب معصية فإن كل انسان يطلب التنوع في الطعام ، ولكن العيش الذي طلبوه لا يحصل الأيبدل أَلْجُهود والجد ، وهذا يتطلب حرث الأرض والعناية بها حتى تخرج بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها فقال لهم (أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير)... الى آخر الآية .^(٣)

وتبين الآية (٩٩) من سورة الانعام الى أن الله سبحانه وتعالى أنزل من السماء ماء فأخرج منه (النبات وكل شئ حي) وهو مصدر الرزق ، أو أن ألنبات هو كل

(١) أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، المجلد الأول ، بيروت ، ص ٢٩٩ .

(٢) أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، مصدر سابق ، ص ٤٠٥ .

(٣) محمد جواد مغنية ، التفسير الكاشف ، مصدر سابق ، ص ١١٥ .

صنف ينبت (فأخرجنا منه) من النبات أو الماء (خضرا) شيئا أخضر (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) يركب بعضه على بعض كالسنبل ونحوه ومن طلع النخل (قنوان) جمع قنوا العذق (دانية) قرية التناول أو قريب بعضها من بعض واقتصر عليها دون البعيدة لفضلها (وجنات من اعناب والزيتون والرمان متشابهها وغير متشابهه) ، اي بعضه متشابه طعما ولونا وحجما وبعضه غير متشابه فقال لهم انظروا الى ثمره اذا أثمر والى اخراجه كيف هو والى نضجه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون.^(١)

وتشير الآية (١٤١) من سورة الأنعام .الى قوله تعالى "وهو الذي أنشأ جنات" بساتين (معروشات) (وغير معروشات) ملقيات على الأرض أو ما ينبت في البراري (والنخل والزروع) مختلفة أكله (ثمره وحبه في الهيئة والطعم) الزيتون والرمان متشابهها ، أي بعض أفرادهما تشابه طعما ولونا ، (وغير متشابهه) أي بعضها يختلف عن البعض الآخر ، (واذا أثمر) كلوا من ثمره اذا ثمر وان لم يدرك.^(٢)

يتضح من الآية (٤) من سورة الرعد بان الله سبحانه وتعالى يريد ان يحدد بعض الامور الكونية وذلك ان في الارض قطعاً متلاصقة بعضها ببعض ، وكلها من عنصر واحد مع ان هذه مجدبة لاتنبت شيئاً وهذه خصبة تنبت مختلف النباتات وتعطي افضل الثمار ، وفي الارض بساتين كثيرة من الاعناب متحدة او متشابهة في الجنس والنوع الا انها مختلفة في طعمها وجودتها ولونها ، وفي الارض كذلك نخيل ولها فروع منتشرة متحدة الاصول والجذوع ، واخرى مختلفة في جذوعها واصولها تنبت في ارض واحدة وتسقى بماء واحد الا ان ثمار بعضها مختلفة بحيث يفضل بعضها على بعض في الشكل والطعم والرائحة ، (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

^١ (عبد الله شبر ، تفسير شبر ، مصدر سابق ، ص ١٦١ .

^٢ (المصدر اعلاه ، ص ١٦٦ .

اي يعملون بعقولهم فيفكرون في الاحوال السالفة التي تجعلهم يؤمنون بان وراء ذلك كله صانعا حكيما ومدبراً قادراً لا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء وانه على كل شيء قدير .

ويفسر ابن كثير الاية نفسها فيقول : (وفي الارض قطع متجاورات) اي اراضٍ يجاور بعضها بعضاً مع ان هذه طبيعة تنبت ماينفع الناس وهذه سبخة مالحة لاتنبت شيئاً ، ويدخل في هذه الاية اختلاف الوان بقاع الارض ، فهذه تربة حمراء ، وهذه بيضاء ، وهذه سوداء ، واخرى محجرة ، وهذه سهلة ، وهذه سميكة وهذه رقيقة والكل متجاورات . وقوله تعالى (وجنات من اعناب وزرع ونخيل) اي جنات وبساتين مختلفة الانواع . اما قوله (صنوان وغير صنوان) ، الصنوان : هو الاصول المجتمعة في منبت واحد كالرمان والتين والنخيل ، وغير الصنوان كان على اصل واحد ، كسائر الاشجار ومنه سمي الرجل صنوايه ، كما جاء في الصحيح ان الرسول محمد (ص) قال (اما شعرت ان الرجل صنوايه) ، وقيل بان الصنوان هي النخلات في اصل واحد وغير الصنوان المتفرقات ، وقوله تعالى (تسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الاكل) اي ان هناك اختلاف في اجناس الثمرات والزرع في اشكالها والوانها وطعومها وروائحها واوراقها وازهارها ، فهذا في غاية الحلاوة ، وهذا في غاية الحموضة ، وذا في غاية المرورة ، واختلاف الالوان اي هذا اصفر وهذا احمر وهذا اسود وهذا ابيض ، وكذلك الزهور مع انها كلها تستمد من طبيعة واحدة وهي الماء .

أما بالنسبة ((للحياة الحيوانية)) فقد تضمنت الآيات القرآنية ما يوضح ذلك وكما يأتي:-

"بسم الله الرحمن الرحيم"

١- قوله تعالى : "واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة" سورة البقرة .
الاية (٦٧).

٢- قوله تعالى: "قال أنه يقول انها بقرة لاذلول تشير الأرض ولاتسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا ألان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون" سورة البقرة .
الاية (٧١).

٣- قوله تعالى: "ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد" سورة المائدة .
الاية (١).

٤- قوله تعالى: "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ومآهل لغير الله به والمخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة ومأكل السبع الاماذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالازلام" سورة المائدة .
الاية (٣).

٥- قوله تعالى: "قل هل أنبئكم بشر من ذلك متوبة عند الله من لعنة الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عف سواء السبيل" سورة المائدة .
الاية (٦٠).

٦- قوله تعالى: "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم" سورة الانعام .
الاية (٣٨).

٧- قوله تعالى: "وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون" سورة الانعام .
الاية (١٣٦).

٨- قوله تعالى: "وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لايطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها عليه افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون" سورة الانعام .
الاية (١٣٨).

٩- قوله تعالى: "وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم" سورة الانعام .
الاية (١٣٩).

١٠- قوله تعالى: "ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين" سورة الأنعام . الاية (١٤٢).

١١- قوله تعالى: "ثمانية ازواج من الضآن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الاثنين أما استقلت عليه ارحام الاثنين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين" سورة الأنعام . الاية (١٤٣).

١٢- قوله تعالى: "وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم بغيبضهم وانا لصادقون" سورة الأنعام . الاية (١٤٦).

١٣- قوله تعالى: "ان الذين كذبوا بآياتنا وأستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين" سورة الاعراف . الاية (٤٠).

١٤- قوله تعالى: "هذه ناقة الله لكم اية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم" سورة الاعراف . الاية (٧٣).

١٥- قوله تعالى: "فألقي عصاه فأذا هي ثعبان مبين" سورة الاعراف . الاية (١٠٧).

١٦- قوله تعالى: "فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين" سورة الاعراف . الاية (١٣٣).

١٧- قوله تعالى: "اولئك كالأنعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون" سورة الأعراف . الاية (١٧٩).

١٨- قوله تعالى: "ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون" سورة الانفال . الاية (٢٢).

١٩- قوله تعالى: "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم" سورة الانفال . الاية (٦٠).

ان تفسير الاية (٦٧) من سورة البقرة اتوضح الى أن الله سبحانه وتعالى أمر قوم موسى أن يذبحوا بقرة والبقرة أسم للأنثى والثور أسم للذكر وأصله من قولك بقر بطنه أي شقه فالبقرة شق الأرض بالحرث وتثيره.^(١)

وتشير الاية (٧١) من سورة البقرة .الى اوصاف البقرة فقال الله سبحانه وتعالى أنها بقرة غير مذلة بالعمل (تثير الأرض) تقلبها للزراعة ، ولاتسقي الحرث أي الأرض المهيأة للزراعة مسلمة من العيوب وآثار العمل لاشية (لون) فيها (غير لونها) ، قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون.^(٢) وفي الآية الكريمة (١) من سورة المائدة اشار الله سبحانه الى نوع من الحلال والحرام في أكل الحيوانات فقال أحلت لكم بهيمة الانعام وهي الازواج الثمانية والجنين في بطن امه اذا أشعر وأبر فذكاته ذكاة أمه (الا ما يتلى عليكم) تحريمه.^(٣)

وفي الآية الكريمة (٣) من سورة المائدة اشار الله سبحانه وتعالى الى تحريم أكل أنواع من الحيوانات، فقال سبحانه حرمت عليكم الميتة التي تموت حتف أنفها (والدم) أي المسفوح منه (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) ، أو مالم يسم الله سمي غيره أم لا (والمنخنقة التي ماتت بالخنق) (والموقوذة) ، والتي تضرب حتى الموت (والمرتدية) التي سقطت من علو الى أسفل فماتت ، (والنطيحة) التي نطحتها أخرى فماتت ، (وما أكل السبع) منه فماتت (والا ذكيتم) أدركتم ذكاته من المذكورات سوى الخنزير ، والدم (وما ذبح على النصب) على حجر أو صنم، الى آخر الآية الكريمة.^(٤)

١ (لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، مصدر سابق ، ص٤٤٦.

٢ (جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي السيوطي ، تفسير الجلالين ، مصدر سابق ، ص١٤ .

٣ (عبد الله شبر ، تفسير شبر ، مصدر سابق ، ص١٣٢ .

٤ (عبد الله شبر ، تفسير شبر ، مصدر سابق ، ص١٣٣ .

وأشار الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة (٦٠) من سورة المائدة الى أصل القردة والخنازير، أذ قال أنهم كانوا من الأرض (وجعل منهم القردة والخنازير) اي مسخهم قردة وخنازير، وقال المفسرون يعني بالقردة أصحاب السبب وبالخنازير كفار (مائدة عيسى). كما اشار الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم في الآية الكريمة (٣٨) من سورة الانعام الى كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته فقال (وما من دابة في الأرض)، أي ما من حيوان يمشي على وجه الأرض (ولا طائر يطير بجناحيه)، إلا أُمم امثالكم، قيل انه يريد اشباهكم في ايداع الله اياها وخلقها لها (١).

كما أشار الله سبحانه وتعالى الى الحيوانات التي يأكلها الانسان عندما خاطب المشركين في الآية الكريمة (١٣٦) من سورة الانعام حيث قال (وجعلوا) أي المشركين (لله ماذراً)، خلق (من الحرث) الزرع والأنعام، (نصييا) حظا يطعمونه الضيوف والمساكين ولكن المشركين ساء ما يحكمون (حكمهم هذا). (٢) و اشار الله سبحانه وتعالى مرة أخرى الى الانعام في الآية الكريمة (١٣٨) من سورة الانعام حيث قال (وقالوا هذه انعام وحرث حجر) حرام (لا يطعمها الا من نشاء) من حرم الاصنام بلا حجة (وانعام حرمت ظهورها فلا تركب كالبحائر والسوائب والحوامي) (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها عند ذبحها). وكذلك الحال بالنسبة للآية الكريمة (١٣٩) من سورة الانعام حيث قال سبحانه وتعالى اذ (وقالوا ما في بطون هذه الانعام) أجنحة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا) حلال لهم تأنيثها.

ويبين لنا الله سبحانه وتعالى الى الانعام مرة أخرى في الآية الكريمة (١٤٢) من سورة الانعام بقوله تعالى (من الانعام) وانشأ منها (حمولة) ما يحمل الاثقال أو

(١) أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص ٢١٦.

(٢) عبد الله شبر، المصدر السابق نفسه، ص ١٦٥.

الكبار الصالحة للحمل ، (وفرشا) ، ما يفرش الذبح أو يفرش ما نسج من صوفه ونحوه أو الصغار الدانية من الأرض كالفرش لها .

ويدلل الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة (١٤٣) من سورة الانعام . بقوله تعالى "ثمانية ازواج) على حمولة وفرشا والزوج وما معه آخر من جنسه (من الضآن اثنين (الكبش والنعجة وهو يدل من ثمانية ازواج (ومن المعز اثنين) جمع ماعز (قل) أنكار على من حرم ما أحل الله (الذكرين) من الضآن والمعز (حرم) الله (أم الاتيين)منهما (ما اشتملت عليه رحام الاتيين) أم ما حملت الاناث فيهما ذكرًا كان أو أنثى .^(١)

كما أشار الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة (١٤٦) من سورة الانعام الى ما حرمه على اليهود (وعلى الذين هادوا) ، أي على اليهود في أيام موسى (حرمنا كل ذي ظفر) اختلف في معناه فقيل هو كل ما ليس بمنفرج الأصابع كالأبل والنعام والأوز والبط وقيل هو الأبل وقيل يدخلها فيها كل السباع والكلاب والسنائير وما يصطاد بظفره ، وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها) ، وقد أخبر سبحانه وتعالى انه كان قد حرم عليهم شحوم البقر والغنم من الثرب وشحم الكلي وغير ذلك مما في اجوافها واستثني من ذلك فقال (إلا ما حملت ظهورهما) من الشحم وهو اللحم السمين فإنه لم يحرم عليهم ، (او الخوايا) اي ما حملته الخوايا من الشحم فإنه غير محرم عليهم أيضا والخوايا هي المباعر وقيل هي الامعاء التي عليها الشحوم (او ما اختلط بعظم) ، وقال جزيئناهم وانا لصادقون .^(٢)

كما يوضح الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة (٤٠) من سورة الاعراف . في مجمل قوله على الذين كذبوا بآياته فقال لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة لان

^(١) المصدر أعلاه ، ص ١٦٦ .

^(٢) أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ٣٧٩ .

الجنة في السماء عن الجبائي ، (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) اي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون الجنة ابدا ، وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة كأنه استهجل من سألته عن الجمل .^(١)

ويؤكد الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة (٧٣) من سورة الاعراف الى الناقة فيقول (هذه ناقة الله لكم آية) اشار الى ناقة بعينها أضافها الى الله سبحانه تفضيلا وتخصيصا نحو بيت الله ، وقيل انما أضافها اليه لأنه خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على توحيده وصدق رسوله لأنها خرجت من صحراء ملساء وكان لها شرابها يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم بدله ، ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم الى آخره .^(٢)

ويشير الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة (١٠٧) من سورة الاعراف الى الثعبان فقال (فالقي عصاه) اي القى عصاه من يده ، (فاذا هي ثعبان مبين) أي حية عظيمة بين ظاهر انه ثعبان بحيث لا يشبهه على الناس وأن لم يكن مما يخيل انه حية وليس بحية وقيل ان العصا لما صارت حية أخذت قبة فرعون بين فكيفها وكان ما بينهما ثمانون ذراعا فتضرع فرعون الى موسى بعد أن وثب من سريره وهرب منها وصاح يا موسى خذها وأنا أو من بك فأخذها موسى فعادت عصا وقيل كان طولها ثمانون ذراعا .^(٣)

كما أكد الله سبحانه وتعالى في الآية (١٣٣) من سورة الاعراف على الطوفان الذي أرسله الله سبحانه وتعالى الى قوم فرعون وقيل هو الماء الغالب الخارج عن العادة الهادم للبنيان والقالع للأشجار والزرع ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون (والجراد) وهو المعروف والقمل فقيل هو الدبى وهو صغار الجراد الذي

(١) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، المجلد السابع ، مصدر سابعة ، ص ٤١٨ .

(٢) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، المجلد الثاني ، المصدر السابق نفسه ، ص ٤٤٠ .

(٣) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، المجلد السابع ، المصدر السابق نفسه ، ص ٤٥٨ .

لا اجنحة له وقد قيل الجراد الطيارة التي لها اجنحة وقد قيل عن القول هو نبات الجراد وقيل أيضا انه البراغيث وقيل انه السوس الذي يخرج من الحنطة (والضفادع) والدم آيات مفصلات اي معجزات .^(١)

ويعلم الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة (١٧٩) في سورة الاعراف الناس حيث وصف حال الذين لا يتدبرون ايات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق انبيائه بأنهم اشباه الانعام والبهائم التي لاتفقه ولا تعلم (بل هي أضل) من البهائم .. الى آخر الآية .^(٢)

ويشير تفسير الآية (٢٢) من سورة الانفال الى شر الدواب فيقول (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) ، والمعنى هو ان شر جميع ما يدب على الأرض من أجناس الحيوان وانواعها هؤلاء الصم البكم الذين لا يعقلون .^(٣) وتشير الآية (٦٠) من سورة الانفال . الى قوله تعالى (ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم) ، الى الرباط هو المبالغة في الربط وهو أيسر من العقد ، والخيل هو الفرس والارهاب قريب المعنى من التخويف (عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم) .^(٤)

ويظهر مما تقدم وما تم ذكره من ايات قرآنية تحديد لما يوجد من انواع واصناف للحياة الحيوية التي تفرعت منها العديد من الأصناف الاخرى وهي الأساس في الدراسات الجغرافية الحيوية التي يعتمد عليها الآن في الفكر الجغرافي .

^(١) المصدر اعلاه ، ص ٤٦٧-٤٦٨ .

^(٢) ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، المجلد السابع ، مصدر سابق ، ص ٥٠٢ .

^(٣) محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، المجلد التاسع ، مصدر سابق ، ص ٤٢ .

^(٤) المصدر اعلاه ، ص ١١٦ .

الاستنتاجات

لقد تناول القرآن الكريم الفكر الجغرافي بجميع جوانبه ، سواء الطبيعي منه أم البشري من خلال ماورد في السور والآيات القرآنية ، ، وبالتالي فان صعوبة الخوض في مثل هذا الموضوع دفع الباحث التركيز على جوانب من الفكر الجغرافي الرئيسي منها ، وقد تطلب ذلك جرد للسور والايات القرآنية التي تناولت الموضوع بشكل رئيسي ، وبعد مراجعة مستفيضة ومعمقة للمصادر المتخصصة التي تم اعتمادها والتي ساعدتنا في تفسير ما ورد في تلك الايات ، فقد تم ومن خلال التحليل وفق منهجية البحث في الفكر الجغرافي امكنا التوصل الى عدد من الاستنتاجات والتي يمكن تحديدها وفق ما يأتي :-

١- تضمنت السور والآيات التي تناولت الجغرافية الفلكية وفكرها الجغرافي جانبين مهمين هما الارض والسماء ، وان عدد الآيات التي تضمنت ذلك بلغ عددها أربعة وثلاثون آية ، وقد ثبت ويشكل قاطع بأن العلم يقف عاجزا امام ماتضمنته تلك السور والايات والتي سبقته في تناول نشوء الارض وحركتها والظواهر التي ترافق ذلك سواء في السماء تكوينات وتأثيرا ، والاجرام السماوية ، فضلا عن عجز العلم من الغور في هذا الكون والذي لم يتوصل ولحد الان الا الى اقرب الكواكب وهو القمر .

٢- توصل البحث الى ان الله سبحانه وتعالى قد اشار في محكم كتابه الحكيم وفي مواضع متعددة عن نشأة الارض ، تكوينها ، حركتها ، قبل ان يتوصل اليه العلماء ، اذ انه قد فند ما كان يعتقد سابقا عن ثبات حركة الارض وشككها وتكوينها ، وذلك من خلال ما ورد في سور والآيات القرآنية من اختلاف الليل والنهار والذي تشير له المعلومات الحديثة ، اذ اكّد ذلك في قوله تعالى " ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار " . واستنتج النحث من خلال

دراسة مركزة للسور والآيات القرآنية حقيقة علمية اختلف العلم والعلماء في تفسيرها والتي تتمثل في ايهما اسبق وجودا في نشأة الحياة التي تتعلق بظاهرة الليل والنهار، في قوله تعالى "واية لهم الليل نسلخ منه النهار"، سورة ياسين . الآية (٣٧) .

٣- أستنتج البحث بأن كلمتي الشمس والقمر قد وردتا في مواضع عديدة من الآيات القرآنية ، والتي وصل عددها اكثر من (٢٠ سورة) والتي تضمنت اكثر من اربعين آية ، وقد وفرت للانسان مالم يعرف خصوصا عن الشمس وافلاكها والذي يقف العلم عاجزا عن التوصل لها، وخاصة فيما يتعلق بحركتها والذي بقي مدار نقاش واختلاف ، الا ان القرآن الكريم حسم ذلك في قول الباري عز وجل "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم" .

٤- وقد توصل البحث الى حقائق جغرافية تضمنها الفكر الجغرافي في القرآن الكريم عن الظواهر الطبيعية تضمنت جوانب مهمة ، منها ما يتعلق بالجبال والسهول والرعد والبرق والرياح مع تأكيد القرآن الكريم على أهمية الرياح في الزراعة ، بدليل قوله تعالى "وأرسلنا الرياح لواقح" .

٥- وتبين من البحث بان الله سبحانه وتعالى قد اكد على أهمية الماء وضرورة الاستغلال الامثل له ، اذ انه اساس اصل الحياة بجوانبها المختلفة "وجعلنا من الماء كل شئ حي" ، فمن خلاله تتكون مصادر المياه السطحية والجوفية ، وتنوع الكائنات الحية ، مما يتطلب ذلك المحافظة على هذا المورد من خلال ما يوضع ويسن من قوانين وتشريعات وضعية ، فضلاً عن ذلك فقد تضمن القرآن الكريم فكراً جغرافياً عن السحب والامطار وفي مواضع متعددة في التكوين والتأثير .

٦- اتضح من خلال البحث بان ما توصل له العلماء من تقدير لمساحة كل من اليابسة والماء التي تغطي الكرة الارضية حديثا ونسبة ٧٠,٨ ، ٢٩,٢ ٪ ولكل منهما على التوالي ، اكده القرآن الكريم في عدد الآيات التي تضمنت هذا

الجانب من الفكر الجغرافي ، اذ ورد ذكر كل من كلمتي البر والبحر ووصلت الى ٣٢ ، ١٣ مرة ولكل منهما على التوالي ، وعند تطبيق معادلة حسابية تم اعتمادها في البحث تبين بان نسبة الماء وصلت الى ٧١,١١١ % ، وان اليابسة تشكل ٢٨,٨٨٨ % ، وبذلك فان القرآن الكريم ومنذ اكثر من ١٤ قرناً قد حدد هذه الحقيقة العلمية قبل ان يحددها العلماء في وقت متأخر .

٧- وتوصل البحث الى حقائق علمية تضمنتها السور والايات القرآنية عن الجغرافية الحيوية ، منها ما يتعلق بذكر انواع النباتات وتصنيفها لوناً وحجماً وطعماً ، وما يمكن ان يستفيد منها الانسان ، فضلاً عن الحياة الحيوية الحيوانية والتي ذكرتها السور والايات والتي بلغت اكثر من تسعة عشر آية فيها تصنيف علمي لانواعها وما هو صالح للحياة البشرية وما هو محرم لما فيه من اضرار اثبت العلم مؤخراً صحتها ، رغم سبق القرآن في تحديدها ومنذ اكثر من (١٤ قرناً) ، وهذا ما سعى البحث من التوصل له واثباته لاهمية ذلك في الدراسات العلمية للفكر الجغرافي بشكل عام وعلم الجغرافية بشكل خاص .

.... والله من وراء القصد

مصادر البحث

- ١- ابو الفداء ، عماد الدين ، اسماعيل بن عمران ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، الاعلام ، ط٥ ، ١٤٠٠هـ .
- ٢- الخوئي ، ابو القاسم محمد الموسوي ، البيان في تفسير القرآن ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد ، ١٩٨٩ .
- ٣- الزمخشري ، تفسير الجلالين .
- ٤- الزيدي ، كاصد ياسر ، الطبيعة في القرآن الكريم ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠ .
- ٥- السبزواري ، عبد الاعلى الموسوي ، مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ج٥ ، مطبعة الديواني ، بغداد .
- ٦- شبر ، عبد الله ، تفسير شبر ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بغداد ، ١٩٧٧ .
- ٧- الشنقيطي ، تفسير اضواء البيان .
- ٨- الطباطبائي ، محمد حسين . الميزان في تفسير القرآن ، المجلد الأول .
- ٩- الطباطبائي ، محمد حسين . الميزان في تفسير القرآن ، المجلد السابع .
- ١٠- الطباطبائي ، محمد حسين . الميزان في تفسير القرآن ، المجلد التاسع .
- ١١- الطبرسي ، ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي . مجمع البيان في تفسير القرآن ، المجلد الأول ، بيروت .
- ١٢- الطبرسي ، ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي . مجمع البيان في تفسير القرآن ، المجلد الثاني .
- ١٣- الطبرسي ، ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي . مجمع البيان في تفسير القرآن ، مجلد السابع .
- ١٤- عبد الجبار ، شاکر . القرآن يفك لغز الأرض ، ط١ ، بغداد ، نيسان ، ١٩٨٥ .
- ١٥- عبد الجبار ، شاکر . ملاح كونية في الفضاء ، ط١ ، مایس ، ١٩٨٥ .

١٦- القرطبي، ابي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري، الجامع لاحكام القرآن، المجلد الأول، بيروت.

١٧- الكروي، ابراهيم سلمان وعبد التواب شرف الدين. المرجع في الحضارة الاسلامية، ط ٢، الكويت، ١٩٨٧.

١٨- المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد وجلال الدين عبد الرحمن، تفسير الجلالين

١٩- المدرس، محمود. الفكر الجغرافي عند البيروني، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، ع ٣٠، ١٩٨٦.

٢٠- المراغي، احمد مصطفى. تفسير المراغي، ج ١٠، مكتبة البابي الحلبي، مصر.

٢١- مغنية، محمد جواد. التفسير الكاشف، المجلد الاول، بيروت، شباط ١٩٦٨.

٢٢- النجفي، سلمان الظالمي. القرآن فضائله واثاره في الشتاتين، دار الزهراء للطباعة، بيروت، ١٩٧٨.

